الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة زيان عاشور بالجلفة

كلية الآداب و اللغات و الفنون

قسم اللغة العربية و آدابها

الانطباعية في النقد العربي القديم حتى نهاية العصر الأموي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها

تخصص: أدب قديم و نقده

إعداد الطالبان : قصاب توفيق

جوال مسعود

أعضاء لجنة المناقشة :

هزرشي عطية : رئيسا

بوشيبة بكر : مشرفا و مقررا

فضة ميلود : عضوا ممتحنا

2017/2016

الفصــل الأول: الانطباعية في النقد العربي القديم في العصر الجاهلي

المبحث الأول: نشأة النقد و مستوياته في البيئة الجاهلية

مط 1: نشأة النقــد .

مط 2: مستويات النقد في البيئة الجاهلية .

المبحث الثـاني: الانطباعية في الأحكام النقدية في العصر الجاهلي

مط 1: مجالات النقد و ميادينه في العصر الجاهلي .

مط 2: بعض المظاهر النقدية الانطباعية و خصائص النقد .

الفصـل الثانــي: الانطباعية في النقد العربي القديم في صدر الإسلام

المبحث الأول: المفاضلات الانطباعية بين الشعراء و النقد الانطباعي عند الرسول – ص -

مط 1: المفاضلات الانطباعية .

مط 2: النقد الانطباعي عند الرسول – ص - .

المبحث الثـاني: النظرات النقدية الانطباعية للخلفاء الراشدين و المقاييس النقدية الانطباعية

مط 1: النظرات النقدية الانطباعية للخلفاء الراشدين .

مط 2: المقاييس النقدية الانطباعية .

الفصل الثالث: الانطباعية في عصر بني أمية

المبحث الأول: الأحكام النقدية الانطباعية في عصر بني أمية

مط 1: النقد الانطباعي في مجالس الحكام و الولاة .

مط 2: النقد الانطباعي في مجالس الفقهاء و العلماء .

المبحث الثاني: المفاضلة بين الشعراء و البيئات النقدية و اتجاهاتها في عصر بني أمية

مط 1: المفاضلة بين الشعراء .

مط 2: البيئات النقدية و اتجاهاتها .

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، منزل الكتاب بلسان عربي مبين ، و الصلاة و السلام على أفصح العالمين محمد الرسول الأمين ، و على صحبه الطيبين الطاهرين أما بعد فان الأمة العربية أمة لسان و بيان ، و لذلك كان الأدب ونقده من أهم ما استحوذ على اهتماماتهم و نال القسط الأوفر من غايتهم و ما عكاظ و غيره من الأسواق الأدبية إلا أمثلة حية و شواهد ناطقة على أهمية الأدب في حياة هذه الأمة و التي وجدت في أدبها شعرا و نثرا السجل الذي تسطر فيه مآثرها و مفاخرها و أيامها و حروبها ، و تاريخها و الوسيلة التي يكون بها ترفيههم عن أنفسهم و فرارهم ، من وطأة الحياة الثقيلة إلى عالم الأدب ونقده لما فيه من عواطف ملتهبة ، و مشاعر جياشة ، و أحاسيس صادقة و الأدب العربي و ما تبعه من نقد فهو معبر عن الوفاء و الأسى على من نفقده من الأهل و الخلان و الأحباب فيرثيهم المرء بأشعار تخفف لوعة قلبهم و أسى فؤاد الكريم لفراق من كان يأنس بهم أو يحتمي بحماهم أو يشطل بجانبهم ، ولهذا كان يحلو للعربي شاعرا أو ناقدا أو متلقيا الأدب في مجالسهم و يتغنوا بالأشعار و ينتقدوا بعضهم و يتبادلوا أطراف الحديث و يتسامروا فيما بينهم و بما أننا نتكلم عن الأدب أو الشعر فلزم الأمر التكلم عن لب هذا الموضوع ألا وهو النقد عامة و النقد الانطباعي (الفطري) خاصة حيث أن هذا الذوق تربى عند العرب فاتصل هذا الذوق بإحساسه و بفكره و بمخيلته و أقر الجميع هذا الذوق حتى أصبح ذوقا عاما ، و كيف لا ؟ و هذا الذوق الانطباعي نشأ في ظل العادات و التقاليد و أنماط التعبير التي اقتضتها طبيعة التكوين الاجتماعي لحياة العرب آنذاك ، فصدرت أحكام العرب مرتجلة نتيجة لهذا التذوق المباشر الذي أحس به الناقد و جاءت موجزة بعيدة عن التعليل و التدليل و التفصيل ، و إن وجد فهو تعليل جزئي ولا يتعارض مع ما نقوله من تحكيم الانطباعي النقدية و جعله أساسا مهما لصدور الأحكام النقدية التي كانت مبنية على الانطباعية التي قد تمس الجمال دون التعرف عن السبب و قد يعرف سببا لكن دون الإفصاح عنه و أيضا نجد ملكة النقد عند العرب القدامى كانت انطباعية ذات ذوق فني محض و ان الفكر و ما ينبعث عنه من تحليل و إستباط ذلك شيء لا نعرفه عندهم .

في مذكرتنا و بحول الله و قوته نخوض تجربة مع النقد الأدبي القديم لكن هذه المرة سندخل عليه الانطباعية " النقد الانطباعي " و سنتكلم بحول الله في دراسة النقد الانطباعي منذ ولادته في عصر ما قبل الإسلام و أثر الإسلام في عصره الراشدي و من ثم ازدهاره بازدهار العربية و آدابها في العصر الأموي وقد آثرنا أن يكون بحثنا مقتصر على دراسة الأحكام النقدية الانطباعية ، مع إدراكنا بالقيد الذي يحيط مسار البحث و هو استقرار التراث النقدي و تجريبه و استخلاص قيم وصفية للنقد الانطباعي و تلك أمور تحكمها الآراء و الأحكام التي أبداها النقاد من مواجهتهم و تفاعلهم معها بالتوجيه و التحليل وعلى ضوء هذا توجب علينا طرح هذا الإشكال : كيف كانت و ما هي الأحكام النقدية الانطباعية و ما هي

مظاهرها ؟

و في الإشكال توجب علينا الإجابة على العصور الثلاث العصر الجاهلي و عصر صـــدر الإسلام و العصر الأموي .

و قد قام بحثنا على رصد تلك الآراء و الأحكام الانطباعية مراعيا التطور الزمنـــي آخـــذا بالحسبان التسلسل التاريخي في دراسة تلك النصوص و عرضها و مناقشتها و لقد انتظمـت دراستنا هذه " البحث " في مقدمة و ثلاثة فصول و خاتمة و قد تناولت المقدمة الإحاطـــة بالعنوان و من ثم الفصل الأول الذي مهدنا له بمدخل و عرفنا في هذا المدخل الانطباعية و التأثيرية وبعد ذلك تكلمنا حول النقد الانطباعي في عصرما قبل الإسلام " العصر الجاهلـي "

و ما جاء فيه من نشأة النقد و مستوياته في البيئة الجاهلية إلى الانطباعية في الأحكام النقدية في العصر الجاهلي.

في حين تناول الفصل الثاني الانطباعية في النقد في صدر الإسلام و كالمعتاد مهدنا بمدخل للفصل و بعد ذلك تكلمنا حول المفاضلة الانطباعية عند الشعراء و النظرة النبوية للنقـــد الأدبي و بعد ذلك تطرقنا إلى النظرات النقدية الانطباعية للخلفاء الراشـــدين و المقايـــيس النقدية الانطباعية.

و أما الفصل الثالث فقد ركزنا فيه على بعض الأحكام النقدية الانطباعية في مجالس الحـكام و الولاة و الفقهاء و العلماء و الأشراف و بعد ذلك اتجهنا نحو المفاضلة بين الشعراء و هذه المفاضلة ذكرنها لأننا رأينا أنها كانت مفاضلة انطباعية ، و من ثم تكلـــمنا على البيئـــات النقدية و اتجاهاتها في هذا العصر " عصر بني أمية " .

ثم تأتي الخاتمة التي أوجزنا فيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

الفصل الأول

الانطباعية في النقد العربي القديم في العصر الجاهلي

المبحث الأول: نشأة النقد و مستوياته في البيئة الجاهلية

المطلب 1: نشأة النقد

المطلب 2: مستويات النقد في البيئة الجاهلية

المبحث الثاني: الانطباعية في الأحكام النقدية في العصر الجاهلي

المطلب 1: مجالات النقد و ميادينه في العصر الجاهلي

المطلب 2: بعض المظاهر النقدية الانطباعية و خصائص النقد

إن أقدم منهج للنقد ظهر في التاريخ قد كان المنهج الانطباعي أو التأثري ، لكن هـــذا المنهج لم يختف قط بل ظل قائما إلى يومنا ، و الانطباعية التأثرية لها قيمة كبيرة لذا نجـد أن هذا النوع من النقد غير مستقل عن المدح أو الذم و هذا النقد يقوم به أناس اعتادوا بحكم طول المزاولة لقراءة الأدب و فنونه و عليه يتذوقوا ما فات عليهم من نصوص و من ثـــم ينتقدونه إما جيد أو سيئ (1) .

أما مفهوم النقد التأثري يقصد به النقد الذي تـــكون الدوافع الذاتية هي التي تتحكم فيه أي أن يكون تقويم الناقد للعمل الأدبي مبنيا على أســاس ما يبعثه في نفسه ، و مدى ما يستشير من ذكرياته و عواطفه الكامنة في ذاته ، فهو يعتمـــد إلى حـــد كبير على الخلفية الاجتماعية و الثقافية و العوامل المؤثرة في تكوين شخصية الناقد وحـــــده . و هذا الأسلوب في النقد هو الذي نشأ مع الإنسان ، و غلب على حياته الأولى ، فإذا نـــظر الناظر في رسم أو قرأ عملا أدبيا ، انفعلت نفسه بما أثارته لوحة الرسام ، أو صـــوت المنـــــشد ، أو تلاوة القارئ ، أو قصيدة الشاعر فيبدي رأيه غير مهتم برأي غيره ، ولا إلى طـــبيعة هذا الشيء الذي أثاره أو أثر فيه ، و إنما يعبر في هذا الرأي عن عواطفه و مشاعـــره الخاصة تجاه الشيء (2) .

و قد كان يؤمن الدكتور محمد مندور (1907م – 1965م) بالانـــــطباعية ، و يـــــرى أنها الثابت النقدي الكبير في التحولات المنهجية المختلفة (اللغوية – التاريخـية – الأيـــدلوجية ...) ، و ذلك لاعتقاده أن " المنهج التأثري الذي يسخر منه اليـــوم بـــعض الـــجهلاء ، و يظنونه منهجا بدائيا عتيقا باليا لا يزال قائما و ضروري و بديهيا في كل نقد أدبي سليم ، ما دام الأدب كله لم يتحول إلى معادلات رياضية أو إلى أحجام تقـاس بالمتر" . و النقد التأثري هو الأساس الذي يجب أن يقوم عليه كل نقد ســـليم و ذلك لأننـــــا لا يمكن أن ندرك القيم الجمالية في الأدب بأي تحليل موضوعي ولا بتـــطبيق أيـــة أصول أو قواعد تطبيقا آليا ، و إنما تدرك الطعوم بالتذوق المباشر ثم نستعين بعد ذلك بالتـــحليل و القواعد و الأصول في محاولة تفسير هذه الطعوم و تحليل حلاوتها أو مرارتها (3) .

و هذا النوع من النقد له مدارسه في القديم و الحديث فمن أولـــــئك [لانسون ألفرني] الذي يتبنى هذا النقد و يذود عنه في كتابه [منهج البحث في الأدب] فـهو يقول : " لا تستطيع أن تتطلع إلى تعريف أو تقدير لصفات عمل أدبي أو قوته ما لم نعـرض أنفسنا قبل كل شـــيء – لتأثيره تعريضا مباشرا "

(1): محمد يحي قاسمي النقد الانطباعي في النقد المغربي مراكش 6- 2009

(2): خالد المحيميد من أنواع النقد الأدبي الأستاذ شبكة الفصيح 5- 2007

(3): وعد العسكري المنهج الانطباعي النشأة التاريخية بيروت 3- 2010

و منه نجد أن هذا الكلام قريب جدا من أحد كبـــار النقاد [عبدا لقادر الجرجاني] الذي يقر بتأثير المشاعر في الأحكام الأدبية في قوله [إذا رأيـــت البـــصير بجواهر الكلام يستحسن شعرا أو يستجيد نثرا ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ فيقول حلو رشيق ، و حسن أنيق ، و عذب سائغ ، و خلوب رائع ، فاعلم أنه ليس ينـــبئك عن أحـــوال ترجع إلى أجراس الحروف ، و إلى ظاهر الوضع اللغوي بل إلى أمـــر يقـــع من المرء في فؤاده ، و فضل يقتدحه العقل من زناده ... . من كتابه أسرار البلاغة .

و يقول الدكتور بدوي طبانة " و مـــثل هذه الآراء في أدبنا العربي و في الآداب الإنسانية كثير ، و كلها يدل على الاعتراف بهـــذا [الـــنقد التأثري] ، الذي تكون ذات الناقد فيه ، و استجاباته الخاصة هي الأساس الذي يبني عليه تقدير الأعمال الأدبية و الحكم عليها بالجودة و الرداءة " و يقول في موضوع آخر " و من هذا يتضح أن النقد الانطباعي التأثري يعبر دائما عن الرأي الذاتي لصاحبـــه و مـــدى استجابته للعمل الأدبي ، و انفعاله به ، و في هذا النقد كثيرا ما تتعارض الآراء بـــتعارض المـــيول و الـــنزاعات و اخـــتلاف العواطف و انفعالات " . (1)

ز مما سبق ذكره يمكن القول أ،النقد الانطباعي يقوم على أسس واضحة هي الذوق و تغليب العاطفة والإحساس و السمات الأساسية للنقد الانطباعي يمكن أن تجسد في أربع نقاط هي : التقريض – التجريح – التستر- الخصومة .

إن بحثنا يتكلم عن الانطباعية في النقد العربي القديم و قد استبقنا الذكـــر بالإحاطة بمصطلح الانطباعية أما الآن فلزما عنا التكلم عن النقد و شرحه لغـــة و اصطلاحـــا و بهذا فقد مهدنا لبحثنا بتعريف الانطباعية و النقد ...

تعريف النقد: أ- لغة :

قال ابن فارس : النون و القاف و الدال ، أصـــل صـــحيـــح يدل على إبراز شيء و بروزه

من ذلك : النقد في الحافر ، و هو تقشـــره ، و النقـــد في الضـــرس: تكسره ، و ذلك يكون بتكشف ليطه عنه

و مـــن الـــبـــاب: نـــقـــد الـــدرهـــم ، و ذلـــك أن يكشف عن حاله في جودته أو غير ذلك

و درهم النقد: وازن جيد ، كأنه قد كشف عن حاله فعلم .

(1): خالد المحيمد من أنواع النقد الأدبي شبكة الفصيح نوفمبر 2009

عبتهم و اغتبتهم ، من قولك: و يأتي النقـــد بمـــعنى كشف العيوب ، قال أبو الدرداء:" إن نقدت الناس نقودك " ، أي الجوزة أنقدها ، و نقد الدرهم ، و نقد له الدرهم ، أي: أعطاه إياه

و نقد الدراهم ، أي : أخرج منها الزيف ، و ناقدت فلانا ، إذا ناقشته بالأمر (1) .

تعريف النقد: ب- إصطلاحا: النقد في حقيقته تعـبير عن موقف كلي متكامل في النظرة إلى الفن عامة ، أو إلى الشعر خاصة ، يبدأ بالـتذوق ، أي : القدرة " على التمييز، و يعبر منها إلى التفسير و التعليل و التحليل و التقييـم ، خـطوات لا تغني إحداها عن الأخرى ، و هي متدرجة على هذا النسق ، كي يتخذ الموقف نهجا واضحا ، موصلا على قواعد – جزئية أو عامة – مؤيدا بقوة الملكة بعد قوة " التمييز .

و يتغاير مفهوم النقد بحيثيات الفن الذي يخاض فيه ، فنقد الأدباء و الشعراء غير نقد الفقهاء و أهل الفرق ، و نقد الأصوليين غـــير نـــقد المحدثين ، فلكل قواعده و مناهجه ، غير أن المشترك بينها هو النظر في المقالة لبيان عيـوبها ، و كـــشف نقـــائصها ، ثم الحكم عليها بمعايير فنها ، و تصنيفها مع غيرها .

و المعايير و الأحكام الصادرة تتفـــاوت و تتـــغاير بحـسب الفن الذي يمارس فيه النقد ، و بحسب النقاد و ملكاتهم العلمية .

كما للنقد مفردات مقاربة ، مثل : التقييـم و الردود ، و المناظرات و المحاورات ، و الجدل و المباحثة ، و المراء و المناقشة ، و إن كـــان لكل واحد ما يميزه عن غيره من دواعي و أساليب و غايات و دوافع (2)

فالتقييم يكون في الغالب للمقالات و الإنتاج الفـــكري بمنهجـية عرض الخطأ و الصواب ، السيء و الحسن .

و النقد يمارس على الرجـال من حـيث الأهليـة العلمـية و العدالة و الثقة ، كما يكون على المقالات و المذاهب و الأدب و الشعر ، و المراد بيان الـزيـف و الأخطاء ، و كشف القيمة

والنقد عند أهل الحديث هو وصف في الراوي ، يثلـم عدالـتـه و مروءته ، مما يترتب عليه سقوط كلامه ورده ، و هو مرادف الكلم " الجرح " .

أما الرد ففي الغالب يكون هدما لمقالة أو فطرة جملة و تفصيلا .

(1): ابن فارس مقاييس اللغة " ، دار الفكر ط1 ، ج2 ، ص575 "

(2): ابن منظور لسان العرب " ، دار صادر بيروت ط1 ، ج14 ، ص254 "

و الجدل يكون بالأخذ و الرد ، و الطرح و البدائل .

و المناظرة تكون بالمواجهة ، فينظر الخصمان لبعضهما ، و ينظر كل منهما في قول الآخر ، فهي جدل مباشر بين المتجادلين ، و غالب المناظرة في مسائل الاختلاف ، و غالب الجدل في مسائل الخلاف ، و الردود جملتها في مسائل الخلاف .

و يغلب استعمال مصطلح النقد في الأدب و الشعر و الفلسفة ، و الردود في الفقه و العقائد ، والجدل في علم الكلام و مقالات الفرق ، و الجرح و التعديل و نقد الرجال في علم الرجال ، و المناظرة و المناقشة و المباحثة و الحوار في أي فن تواجه فيه الطرفان ، اتفقا في الرأي أو اختلفا (1) .

(1): إحسان عباس تاريخ النقد الأدبي عند العرب " ، ، دار الثقافة: بيروت ، 1983 ، ط4 ، ص5 "

المبحث الأول: نشأة النقد و مستوياته في البيئة الجاهلية .

المطلب الأول: نشأة النقد العربي القديم.-إن النقد هو ضوء الأدب من حيث الاشتقاق منه و التسلط عليه ز من حيث كونهما فنيا يهتمان بالذوق و الجمال و التأثر و إن كـــان الأدب قد نال حظه الوافر من الجمع و التحليل و الدراسة و التأريخ فإن النقد أقل حظا منـــه إذ لم ينل من الدراسة و التحليل مانالـه الأدب و سنحاول في هذه الورقات وضـع لبنة حتى و إن كانت صغيرة لا تقوى على مسايرة أترابها في عالـم النقـد و الأدب فحسبهـــا المحاولة المخلقة و المشاركة الهادفة إذن و بدون إطالة إذا كان العـــصر الجاهـــلي في اصطلاح المؤطرين أو المفسرين يقصد به الفترة التي سبقت بعثة النبي صلى الله عليه و سلم (1) دون تحديد لزمن معين فانه في اصطلاح الأدب ، و النقاد لايتجاوز المائتيـــن سنة ... . يـــقول الجاحظ و أما الشعر فحديث الميلاد صغير السن أول من نهج سبيله و سهل الطـــريق إليه : امـــرؤ القيس بن حجر و مهلهل بن ربيعة (2) و يدل على حداثة الشعر قول امرؤ القيس :

*إِنَّ بَنِـيْ عَوْفِ ابْتَنُوا حُسْنًا * ضَيَعَهُ الدَخْلَلَونَ إِذْ غَـــــدَرُواْ*

*أَدَوْا إِلَى جَارِهِمْ خِفَـارَتَـــهُ * وَ لَمْ يَضَعِ بِالمُغَيْبِ مَنْ نَصَرُواْ*

*لَا حِمْيَرِيٌ وَفَـي وَلَا عَـدْسُ * وَلَا أَسْتُ عِيْرَ يَحِكْيَهَا الثَفْـــرُ*

فانظركم كان عمر زرارة و مولد الـمصطفى صلى الله عليه و سـلم فإذا اســتظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام .

و مما قاله شوقي ضيف في تعريف الجاهلية (3) " و ينبغي أن نعرف أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليســت مشتقـــة من الجهل الذي هو ضد العلم و نقيضه إنما مشتقة من الجهل بمعنى السفه و الغضب و النزق فهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع و الطاعة لله عز و جل " .

إن الحديث على النقد الأدبـــي في عـــصر الجاهلـية يختلف عن غيره من العصور إن أول مباحثه إنما يتعرض لوجوده أصلا (4) و الحقيقـــة أن وجود النقد مسألة لا ينبغي الاختلاف فيها فضلا عن نفيها أو الشك فيها لأمرين اثنين :

(1): الجاحظ الحيوان ، دار المعارف ط1 .

(2): ابن سلام الجمحي طبقات الشعراء ، دار الكتب العلمية ط1 ص 55

(3): شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، دار المعارف مصر ط8 ص 39

(4): د.قصي حسين ، النقد الأدبي عند العرب و اليونان معالمه و أعلامه ، دار المعارف ط1 ص 18

أولهما: إن وجود الأدب في تلك المرتبة العلية من الإبداع و الرقي و بذلك الزخم و الحجم الكبير دليل كاف على وجود نقد ساير الأدب و وقف إلى جانبه.

ثانيهما : إن الإنسان ناقد بطبعه متذوق بفطرته يطالب دائما بالأحسن و الأجمل و الأجود و الأمثل في شؤون حياته كلها و لن يشل الشعر و الأدب هذا المبدأ ... إن قراءة الشعر و سماعه تقتضي و لابد تذوقه و قده و خاصة إذا كان من عارف (1) بالشعر كالشاعر نفسه أو روايته و ما أكثرهم في عصر الجاهلية .

هذا من جهة نفي وجود أصل النقد أما نفي النقد المنهجي العلمي الموضوعي بقوانينه المعروفة و أساليبه و مناهجه المشهورة في عصر الجاهلية فإن من يزعم ذلك إنما يريد تسليط اصطلاحات حادثة على تراث فكري قديم أو إنما يريد محاكمة فترة زمنية محددة بأعراف معاصرة و ليس هذا من البحث العلمي المنهجي و لا بد من الدراسة الموضوعية الجادة في شيء فالذي ينبغي الإقدام عليه في مثل هذه الدراسات هو البحث في مميزات النقد الأدبي في عصر الجاهلية في إطاره الزماني و المكاني بعيدا عن تأثير اصطلاحات الحادثة والأعراف المعاصرة .

المطلب الثاني : مستويات النقد في البيئة الجاهلية

إن التأمل العميق و المتأني في فيما ورد إلينا من نماذج للنقد في العصر الجاهلي على قلتها – مقارنة بالأدب – يعطينا نظرة إجمالية و فكرة عامة على ما كان عليه النقد الأدبي يومها ... . فهو ابتدائي فطري انطباعي في الإنسان فالإنسان يميز بفطرته بين الخير و الشر ، و بين القبح و الجمال ، و بين اللذة و الألم ، و ينفر دوما من الكلمة الخشنة الجافة و يتجلى هذا النقد الجاهلي في ثلاث مجالات سنذكرها كالتالي :

المستوى الأول النقد الذاتي : و يقصد به نقد الشاعر لنفسه و تهذيبه لقصيدته كيف لا و الشاعر أكثر المحتفلين و المهتمين بتجويد شعره حتى يرضي الجمهور المتلقي للشعر و يستقطب إليه أكبر قدر ممكن من الرواة و المعجبين (2) و لعل أبرز نموذج يمثل هذا النوع من النقد هو ما اصطلح عليه اسم المدرسة الأوسية (3) أو عبيد الشعر (4) و أشهر رواد هذه المدرسة أو هذه الطائفة من الشعراء هو زهير بن أبي سلمة الذي كان يستغرق في تهذيب

(1): د. علي جواد طاهر - مقدمة في النقد الأدبي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ط1 ص 351 .

(2): شوقي ضيف - النقد ، دار المعارف ط1 ص 21

(3): هي تسمية أطلقها طه حسين

(4): ابن رشيق القيرواني العمدة دار السعادة للطباعة و النشر القاهرة ط1

و قبائلها ينشد الشعر مستعينا بآلة موسيقية تدعى الصـــنج و ما يـفعل ذلك إلا احتفالا بشعره و رغبة في جلب المثنين و المعجبين و لا بـــد أنه كـــان – من باب أولى – يصنع شعره و يختار منه و يزيد و ينقص فيه ما يحقــق له الهــدف ... . و المبتغى و كان كل هذا سليقيا فطريا من غير قواعد و لا أسس أي انطباعي .

المستوى الثاني النقد الخاص : و هو النقد الذي نشأ بين طائفة خاصة من المجتمع العربي على رأسهم الشعراء أنفسهم يقول الدكــتور مصطــفى عبد الرحمان " ولد النقد الأدبي مع مولد الشعر و نشأ معه و هذا أمر طبيعي فإن الشاعر ناقد بطبعه ، يفكر و يقدر و يختار ، و لهذا كان أقدر من غيره على فهم الصنعة الشعرية و على إدراك أســرار القبح أو الجمال ." (1) .

و أبرز شاهد هنا النابغة الذبياني فـقد كان شاعـــرا فحــلا و ناقدا فذا و مثلـــه جل الشعراء فمعرفتهم للشعر من جهة و تنافسهـــم فيهـــا بينهـــم من جهة أخرى يدفعهم إلى إصدار أحكام نقدية من شأنها أن توجه الشعر و تهذبه ... . فمـــمـــا يـــروي عن نابغة بني ذبيان أنه كانت تضرب له خيمة من أدم حمراء في سوق عكاظ يجتمع إليـــه فيهـــا شعراء العرب يعرضون عليه شعرهم و مما عرض عليه شعره فأشاد به و أثنى عليه الأعشـــى ثـــم دخلت الخنساء فأنشدته :قذى بعينك أو بالعين عوارُ ... . إلى أن قالت :

*وَ إِنَّ صَخْـرًا لَتَأْتَـمَ الهُدَاةُ بِهِ * كَأَنَّـهُ عَلَـمٌ فِي رَأْسِـهِ نَـارُ*

*وَ إِنَّ صَخْرًا لَمَوْلاَنَا وَ سَيِّدُنَـا * وَ إِنَّ صَخـرًا إِذَ اِنْشَقَ لَنَحَارُ*

فقال لولا أن أبى بصير أنشدني قبلك لقلت : أنك أشعـــر الناس أنـت والله أشعر من كل ذي مثانة ، قالت : والله و من كل ذي خصيتين ، فقال حسـان : أنا والله أشعر منك و منها قال : حيث تقول ماذا قال حسان :

*لَنَـــا الجَـفَنَـاتُ الـغُـرُّ يَلْمَعْنَ بِالْضُحَى * وَ أَسْيَافُـنَا يَقْطِـرْنَ مِنْ نَـجْدَةٍ دَمَـا*

*وَلَـدْنَا بَنِيُ العَنْـــقَاءِ وَ اِبْنِـــي مَحْـرَق * فَأَكْرِمْ بِنَـــا خَـالاً وَ أَكْـــرِمْ بِنَـــا اِبْنًا*

فقال : إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك و فخرت بمن ولدت و لم تفتخر بـمن ولـدك ،

و في رواية أخرى قال له : إنك قلت (الجفنات) فقللت العدد و لـــو قلت (الجفان) لكان أكثر و قلت (يلمعن في الضحى)و لو قلت (يبرقن في الدجى) لكـــان أبلغ في المديح لأن

(1): د. مصطفى عبد الرحمان – النقد الأدبي القديم عند العرب ، مكة للطباعة ط2 ص 27 .

الضيف بالليل أكثر طروقا ، و قلت (يقطرن من نجـدة دمـا) فدللت على قلت القتل و لو قلت (يجرين) لكان أكثر لانصباب الدم ، و فخرت بمن ولـدت و لـم تفخر بمن ولدك فقام حسان منكسرا (1) .

و يوجد أيضـا موقـف آخر للنـقد الخاص بين الشعراء ما يروى من تحاكم علقمة بن عبدة تميمي و الزبرقان بن بدر و عمرو بن الأهتم و المخبل السعدي إلى ربيعة بن حذار الأسدي فقال لهم : أما أنت يا زبرقان فـإن شعـرك كلحم ينضج فيؤكل و لا يترك فينتفع به ، و أما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرد حبرة يتـلألأ في البصر فكلما أعدته فيه نقص ، و أما أنت يا مخبل فإنك قصرت عن الجاهلية ، و أما أنـت يا علقمة فإن شعرك كمزداة قد أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء (2) .

-فهذه النماذج تمثل ظاهرة التنافس بين الشعـراء و الانتقادات التي كانوا يوجهونها لبعضهم البعض سواء من خلال التحاكم كما هو ظاهـرها هنـا أو مـن خلال التنافس المطلق الذي تقتضيه طبيعة البشر و حبهم للتقدم و التكاثر في كل شـيء كما قال سبحانه و تعالى { ألهاكم التكاثر } و تقتضيه أيضا طبيعة الحياة العربية البدوية القائمة أساس على العصبية القبلية ...

هذا من جهة طائفة الشعراء و الأدبـاء و هـناك طـائفة أخرى تندرج في هذا الإطار هي طائفة الملوك و الوجهاء و الأمراء فقـد كـان لهم الدور البارز في تهذيب الشعر و نقده (3) من خلال آرائهم في جزء عظيم منه هو الجـزء المتمثل في المديح الذي كان ينهال عليهم و الأشعار التي كانوا أهم موضوعها و سببها – ومـا أكثـرها – فإن عطاءهم كان ولا بد أن يختلف من قصيدة لأخرى سواء كان هذا الاختلاف مبنيـا على أسس فنية أدبية جمالية بحتة (4) أو على أسس موضوعية متعلقة بذات الممدوح و هـذا الاخـتلاف في العطاء يغلب على الظن أنه كان معللا أو على الأقل معروف العلة مما يستدعي الشـاعـر إلى تهذيب قصيدته وفق هذه التعليلات التي تجلب له الكسب و العطاء .

المستور الثالث النقد العام : و المقصود به نقـد جماهير العرب و عامتهم ، فالمعروف عن العرب أنهم أهل البلاغة و الفصاحة والبيان كانـوا يـتـذوقون الأدب بفطرتـهم و سجيتهم و

(1): مصطفى عبدالرحمان النقد الأدبي عند العرب و اليونان معالمه و أعلامه ، دار المعارف ط1 ص 44 .

(2): نفس المرجع ص 26 .

(3): نفس المرجع ص 23 .

(4): فيعطي على القصيدة الجميلة بغض النظر عن كون الشاعر أطنب في المدح أولا .

كانوا ولوعين شغوفين بالشعر خاصة ... و لا بد أن هذه العامة لها ذوق خاص و اتجاه محدد في الشعر (1) و قوالب (2) معينة تنجذب نحوها أكثر من غيرها .

و من شأن هذا الذوق أن يقيد الشعراء و الأدباء فينشدوا فيه وفق ما تحبه و تطلبه الجماهير

و هذا ما يدفعهم لتهذيب شعرهم بما يساير هذا الذوق العام يقول الدكتور شوقي ضيف في حديثه عن عامة العرب الذين كانوا يستمعون لشعر الأعشى الذي كما سلف ذكره يطوف بأحياء العرب لنشد شعره لعامتهم (3) " ... و لا نرتاب في أن من كانوا يستمعون إليه كانوا يستعيدون – في حضرته – ما ينشده مرارا و أنهم كانوا يطلبون منه المزيد و لا نرتاب أيضا في أنهم كانوا إذا رحل يتحدثون عنه و عن شعره فيتعصب بعضهم له و بعضهم عليه مؤثرا شعراء قبيلته ، و كذلك كان لهم شأن في الأسواق حين يستمعون إلى ما ينشد الشعراء ، فيظهر فريق منهم معجبا ، و يظهر فريق آخر بالسخرية و الاستخفاف ، و لعل هذه أول صورة لتقدير الجماهير للأدب و تقويمه ، و يروها في العصر الجاهلي يدل على رقي الذوق حينئذ و قد اندفع كل شاعر في هذا العصر الغابر إلى محاوله إرضاء هذا الذوق و أن يقع منه موقع استحسان و كل هذه المستويات النقدية مذكورة كانت فطرية انطباعية تأثرية لا تعتمد على قواعد و أسس و إنما بالفطرة .

المبحث الثاني : الانطباعية في الأحكام النقدية في العطر الجاهلي .

المطلب الأول : مجالات النقد و ميادينه في النص الأدبي الجاهلي

في هذا النوع من النقد يستطيع الناقد أن يطلق العنان لخياله و انفعالاته أثناء مشاهدته للعمل الفني فليس من الضروري أن يقتصر نقده على ما هو في العمل و يستطيع الناقد أن يستمتع بهذه الحرية لأن الانطباعية ترفض الوظائف المألوفة للنقد ، حيث أن النقد الأدبي في العصر الجاهلي قد طال جميع مستويات النص الأدبي و أوشك أن يتعرض لجميع جزئياته و موضوعاته لولا بدائية الحياة الفكرية و بعدها عن النظرة التحليلية للمظاهر و الأشياء ... التي منعت التعمق و التوسع في نقد النصوص الأدبية :

نقد الألفاظ : فمن ذلك يروي المسيب بن علس مر بمجلس بني قيس بن ثعلبة فاستنشدوا فأنشدهم : *أَلَا أَنْعَمَ صُبْحًا أَيُهَا الرِبْعُ وَ اَسْلَمَ * مُحَيَاكَ عَنْ شَعْطِ وَ إِنْ لَمْ تُكَلِمِ*

(1): الشعر الغنائي الوجداني .

(2): كالبداية الطلالية .

(3): شوقي ضيف النقد ، دار المعارف ط9 ص 21 – 22 .

فلما بلغ : *وَ قَدْ أَتَنَاسَى الهَمَ عَنْ إِدِكَـــــارِه * بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَيْعَرِيَةِ مُـكْـدَمِ*

فقال طرفة – و هو صبي يلعب مع الصبيـان – استنوق الجمل لأن ابن علس وصف جمله بالصيعرية و هي سمة في عنــق الناقــة لا البعير (1) و من أمثلته كذلك نقد النابغة الذبياني لحسان بن ثابت رضي الله عنه حين اســتعمل لفظــة الجمع البسيط دون منتهى الجموع أو جمع الجموع للدلالة على الكثرة (2) .

و من أمثلته البارزة كذلك (3) ما يــروي أن الأعـشى أنشد قيس بن معد يكرب أحد أشراف اليمن شعرا في مدحه جاء فيه :

*وَ نَبـئْتُ قَـيْسًا وَ لَمْ أَبْـلِـهِ * وَ قَدْ زَعَـمُـوا سَادَ أَهْـلِ اليَمَــنِ .*

فعابه قيس لما شاب معناه من الشك في ملك أهل الــيمن لأن استــعمال لفظة الزعم تفيد في أصل وضعها و الشائع في استعمالها الشك و الزعم كما يقولون أخو الكذب أو مطية الكذب حتى و إن كانت العرب تستعمل هذه اللفظة و نحوها بمعنى اليقين كذلك إذ وجد في السياق ما ينحوا بها نحو هذا المعنى ... و لم ينفع الأعشى محاولة إصلاح بنينه حين قال :

*وَ نَبـأْتَ قَيْـسَ وَ لَـمْ آتِـهِ * عَلَــى نَأْيِــهِ سَــادَ أَهْـلُ اليَمَـنِ*

فالعربي كان ينتقد النص الأدبي من جهة ألفاظــه و مفرداته انــطلاقا من سجيته اللغوية و الكلامية فهو عارف بلغته مدرك لاستعمالات و دلالات ألفاظها حق المعرفة و تمام الإدراك ...

يقول الدكتور عبد الرحمان إبراهيم " و قد كان الــعربي على صلة وثيقــة بأسرار لغته ، يدرك بفطرته الدلالة الوضعية للكلمات ، فإذا ابتعد الشاعر عن تلك الدلالــة ، و اســتعمل الكلمة في غير موضعها ، دون أن يلمح العلاقة بين المعنى الأصلي للكلمــة و المعنى الذي نقلها إليه أحس بذلك إحساسا مباشرا و عبر عن ذلك الإحساس بما تجود بــه قريحته " (4).

و من قول الدكتور مصطفى عبد الرحمان إبراهيم يمكن القول إن كل عربـــي ناقد بفطرته دون اكتشاف قواعد أو أسس النقد و هذا موضوعنا الانطباعية النقدية .

(1): شوقي ضيف النقد ص 24 مصطفى عبدالرحمان في النقد الأدبي عند العرب طبعة1، مكة للطباعة ص 31 .

(2): و قد تقدم نص الشاهد كاملا .

(3): مصطفى عبدالرحمان النقد الأدبي عند العرب ، مكة للطباعة ط1 ص 31 – 32 .

(4): نفس المرجع ص 30 – 31 .

و لقد كان هذا النوع من النقد قليل لقلة الأخطاء اللغوية أو قل لقلة العدول اللغوي (1) غير المناسب يقول الدكتور عبد الرحمان إبراهيم " الظاهر أن هذا اللون من النقد كان قليلا نادرا لأن العربي كان شديد الحساسية بلغته و دقيق الإصابة فيها يجري في استعمال الكلمات على طبعه و سليقته فإذا ظهر شيء يخالف الطبع و السليقة فطنت إليه الأذواق الناشئة و عافته و ذلك نادر ... " (2) .

و لعل هذا هو الذي يعلل لنا نقص النصوص التي نقلها الرواة في هذا الشأن .

نقد المعاني : المقصود المعاني دلالات الألفاظ سواء ما وضعت له أصالة (حقيقة) أو نقلا (مجازات) و لكن تكون سلمية في حس الناقد العربي البسيط ينبغي إن تكون المعاني مطابقة لذات أحاسيسه ، معبرة عن قيمه و مثله ، عاكسة لواقعه و بيئته و لطبيعة من حوله أي تمثله و تمثل ما يجول في خاطره و حياته ، فان كانت كذلك فهي جميلة مستحسنة في ذوقه و هي مقبولة و إن حالفت معهوده في مستهجنة رديئة قبيحة يسارع إلى انتقادها بأسلوبه البسيط المتماشي مع طبيعته و بيئته (3) و من أمثلة هذا النوع من النقد الانطباعي انتقاد العرب للمهلهل بن ربيعة في بيته الذي نعتوه بأكذب بيت قالته العرب حيث يقول :

*فَلَوْلَا الرِيْحُ أَسْمَعُ أَهْلَ حِجْرٍ * صَلِيْلَ البَيْضِ تَقْرَعُ بِالذُكُورِ (4)*

لأنه من أهل الشام كانت قبيلته على شاطئ الفرات فكيف يسمع قبيلة حجر التي قطنت في اليمامة و بينهما مسافات طوال .فالنقد هنا بسبب مبالغته في المعنى مبالغة خالفت معهود العرب و إلا فان اصل المبالغة كانت مطلوبة و مقصودة في شعر العرب و خاصة في مجال المدح و الفخر و لهذا نرى النابغة في النموذج الثاني كيف ينتقد حسان بن ثابت لأنه لم يبالغ في معنى يقتضي المقام للمبالغة فيه (فالجفان) أبلغ من (الجفنات) و (يجرين دما) أبلغ من (يقطرن) هذا من حيث قصد المبالغة و كذلك انتقده من جهة مخالفة معهود العرب و عرفهم فالعادة عندهم جرت على الافتخار بالآباء لا بالأبناء فكان الأولى إن يقول (أكرم بنا أبا) لا (أكرم بنا ابنا) و الضيوف يطرقن البيوت في الليل لا في الضحى فكان ينبغي أن يقول (يبرقن بالدجى) بدل (يلمعن بالضحى) .

(1): هذه ليست أخطاء لغوية التي ارتآها الأديب و أنكرها الناقد كما هو ظاهر في شاهد النابغة و الأعشى .

(2): محمد إبراهيم النقد الأدبي في العصر الجاهلي و صدر الإسلام ، دار اللواء الرياض ط1 ص 87 .

(3): محمد إبراهيم نصرالنقد الأدبي في العصر الجاهلي و صدر الإسلام ، دار اللواء الرياض ط1 ص 88 .

(4): نفس المرجع ص 33 .

و لعل شاهد النابغة هذا قد جمع بين النقد اللفظي و المعنـــوي كما قال الأستاذ شوقي ضيف (1) " و هو نقد سديد ، ذ يتناول النابغة فيه مسألتين : أحداهــما لفظية و الأخرى معنوية أما اللفظية فان حسان لم يجمع الجفنات جمعا يدل على الكثــرة ، و العرب تستحب المبالغة في مثل هذا الموقف حين يفخر الشاعر بالكرم و الشجاعة فــي قبـيـلتـه ، أمـا المسألة المعنوية ففخره بمن ولدته نساءهم و العرب لا تفتخر بالأبناء و إنما تفتخر بالآباء .

نقد الشكل : المقصود بالشكل النص الأدبي ما يتعلق بصورته من حيث عـــمودية الشعر و أوزانه و قوافيه و تركيبة قصائده من جهة مقدمتها و أغراضـها و نحو هــذا القبيــل . فمن النماذج على اشتغال النقد الجاهلي و تعرضه لشكل المنــتوج الأدبــي ما يروى عن النابغة الذبياني أنه كان يقوي في شعره و لا يتفطن ذلك كقوله :

*أَ مِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحُ أَوْ مُغْتَرِيْ * عَجْلَانَ ذَا زَادِ وَ غَيْرِ مُزَودِ*

*زَعَمَ البَوارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنَا غَـدًا * وَ بِذَلِكَ خَبَرَنَا الغُرَابُ الأَسْوَدُ* (2)

فلما قدم على أهل المدينة أرادوا أن يشعـروه بلحــنه فعمدوا إلى جارية و طلبوا منها ترتيل هذه الأبيات أي إنشادها في استمرارية و تــتــابع فــأحــس النابغة بنشاز في أبياته و تفطن لإقوائه فأصلحه بقوله : و بذلك تنعاب الغراب الأسود و لهذا السبب كان يقول النابغة : قدمت الحجاز و في شعري صنعة و رحلت عنها و أنا أشعر الناس .

و مثله لإقواء بشر بن أبي حازم ، يقول أبو عمر بن العلاء كـ فحــلان من الشــعراء كانــا يقويان النابغة الذبياني و بشر بن أبي حازم فإما النابغة فدخل يثرب فغنى بشعره فلم يعد إلى إقواء ،و أما بشر فقال له أخوه سوادة : انك تقوي ، قال و ما الإقواء قال قولك :

*أَلَمْ تَرَى أَنَ طُوْلَ الدَهْرِ يُسْلِيْ * وَ يُمْسِيَ مِثْلَ مَا نَسِيْتُ جُزَامَ*

ثم قلت : *وَ كَانُوا قَوْمَنَا فَبَغَوا عَلَيْنَـــــا * فَسَقْنَاهُمْ إِلَى البَلَدِ الشَـــامِيْ*

فقال : تبينت خطئي و لست بعائد (3) .

الشعر و الشعراء (4) أنها طلبت من الشاعرين المتنافسين امرئ القيس و علقمة الفحــل أن

(1): شوقي ضيف النقد ، دار المعارف القاهرة ط9 ص 27 .

(2): شوقي ضيف النقد ، دار المعارف القاهرة ط9 ص 24 .

(3): مصطفى عبدالرحمان إبراهيم في النقد الأدبي القديم ، مكة للطباعة ط1 ص 37 .

(4): ابن قتيبة الدينوري ، الشعر و الشعراء دار المعارف ط2، ج 1 ، ص 218 .

يقولا قصيدتين في موضوع واحد و قافية واحدة ، و هذا إن دل على شيء فإنما يدل عـــلى أن الشكل كان له دور جد مهم في المفاضلة بين الشعراء و في نقد أشعارهم .

النقد الجمالي الفني : و نقصد بــه نقد النصوص الأدبية في العصر الجاهلي من حيث أدائها الوظيفة جمالية سواء من جهة جاذبيتــها و ســحرها الذي قد يخفي سره و تجهل علله أو قد تعلم و تعدد بين حلاوة الألفاظ و عذوبة المعاني و جرس الحروف و بديع التركيب و حسن التشبيه و غير ذلك .

و من نماذج و شواهد هذا النوع من النقد ما وأورده المرزباني في قصة تحاكم الزبرقان بن بدر و عمر بن الأهتمي و عبدة بن الطيب و المخبل الســعدي إلــى ربيعة بن حذار الأسدي في الشعر ، و القصة سبق و إن ذكرناها .

و مما قاله الدكتور مصــطفى عبد الرحمان معلــقا على هذا الشاهد بعدما حكم عليه أنه من النماذج التي تنظر إلى جودة الشعر من حيث أداء الوظيفة الجمالية ما يلي (1) :

و خلاصة هذه التشبيهات إن شعر الزبرقان كلام في صورة شعر لم يبلغ درجة النضج ، بل هو فاسد لا غناء فيه لأنه فقد الجزالة ، و حرارة العــاطفة التي تجعل له طعما ممتازا . و شعر عمرو بن الأهتم يبهر العين فتعجب به لأول نظــرة لأن ألفاظه براقة و أساليبه خلابة فإذا فتش الناظر في حقيقته و دقق في معانيه لــم يجد شيــئا ، و شعر المخبل السعدي شعر متوسط لا ينهض بصاحبه حتى يرقى إلى مرتبــــة الفحــول و لا ينحط إلى درجة كلام المتشاعرين .

و في شعر عبدة بن الطيب جزالة و إحكام لا يــرى الناظر فيــه ضعفا و لا يلمح فيه أساليبه أو معانيه و هنا نجد انه أشعرهم ثم يقول معلقا على هذه الأحكام " و هذه الأحكام من ربيعة بعيد عن التفضيل و عن التوضيح و عن الدقة (2) و عــن الاســتشهاد و عــن الدليل لأنها أوصاف عامة لكنها تنم عن ذوق يحاول التمييز بين الجيد و الرديء و تــدل علــى محاولة

تقويم الشعر يعتمد على الانطباع العام و البادرة السريعة و الخاطرة الفجة التي يمليها ذوق من عاش في هذه البيئة التي تعيش الفطرة و تغيب عنها الدقــة و تفتقد إلى التعليل المريح و لا تعرف من المعايير النقدية شيئا إلا الذوق الذي حسس الجمال دوم أن يعرف سببه "(3) .

(1): مصطفى عبدالرحمان في النقد الأدبي القديم ، مكة للطباعة ط1 ص 37 .

(2): نفس المرجع ص 38 .

(3): نفس المرجع ص 39 .

و هنا تتجلى لنا صورة النقد الانطباعي في تعليق الدكتور مصطفى عبد الرحمان على شاهد الشعراء و موقفهم مع ربيعة بن حذار الأسدي .

نقد الأديب : هذا النوع نجد أنه من جهة خرج عن أعراف العــرب أو انه تناقض في بعض أقواله أو انتهج نهجا مخالفا للشهامة و المروءة و ما شابه ذلك .

و من شواهد هذا الضرب من النقد ما يروى عن الشماخ أنه مدح عرابة أحد أشراف الأوس فقال يخاطب ناقته :

*إِذَا بَلَّغْتَنِيْ وَ حَمَلْتَ رِحْلِي * عَرَابَةَ فَأَشْرِقِي بِدَمِ الوتينِ .*

فعاب عليه أحيحة بن الجلاح ذلك و قال له : بئس المجازات جازيتها (1)

لأنه استغرب من شاعر يريد أن يجـــازي ناقته على حسن صنيعها بنحرها و إراقة دمها . فالشاعر ها هنا وقع في تناقض صريح تمجه الطباع و ترفضه العقول .

و منه كذلك حكومة أم جندب امرأة امـرئ القيس – كما تقدم – تحاكم إليها زوجها و علقمة الفحل ، أيهما أشعر فقالت قولا شعرا تصـفان فيه الخيل على روي واحد و قافية واحدة فقال امرئ القيس :

*خَلِيْلَيَ مُرَا بِـــيْ عَلَى أُمِ جَنْدَبِ * لِنَقْضِيْ حَاجَاتِ الفُؤَادِ المُـعَذَبِ*

و قال علقمة :

*ذَهَبْتُ مِنَ الهِجْرَانِ فِي كُلِ مَذْهَبِ * وَ لَمْ يَكُ حَقًا كُلُ هَذَا التَـجَنُـبِ*

ثم أنشدها جميعا فقالت لأمرئ القيس : علقمة أشعر منك . فقال : و كيف ذلك ؟ قالت : لأنك قلت :

*فَلِلْسَوطِ أَلْهُوبُ وَ لِـــــسَاقِ دُرَةِ * وَ لِلْزَجْرِ مِنْه وَقَعَ أَخْرُجُ مُهَذَبِ*

فجهدت فرسك بسوطك و مرتيه بساقك و قال علقمة :

*فَأُدْرِكْهُنَ ثَانِيًا مِنْ عِنَانِـــــــــهِ * يَمُرِ كَـمَرِ الرَائِـحِ المُتَـحَلِبِ*

فأدرك طريدته و هو ثان من عنان فرسه لم يطربه بسوط و لا مره بساق و لا زجره

(1): شوقي ضيف النقد ، دار المعارف القاهرة ط9 ص 24 – 25 .

فقال امرئ القيس : ما هو بأشعر منه و لـــكنك له وامق ! فطلقها فخلف عليها علقمة فسمي بذلك الفحل (1) .

و عيب الشاعر ها هنا كما يراه الناقد و لا يـشترط بالضرورة أن يكون محقا فقد بلغ هدفه بجهد جهيد و عسر عسير و بطريقة فيها الكثـــير من الشدة و الظلم بينما خصمه بلغ ذات الهدف بعمل قليل و سهولة و يسر و عامل دابته معاملة تنبئ عن مروءة و شهامة .

(1): ابن قتيبة الدينوري الشعر و الشعراء ، دار المعارف القاهرة ط2 ص 218 – 219 .

المطلب الثاني : بعض المظاهر النقدية الانطباعية في العصر الجاهلي و خصائص النقد

أولا : بعض المظاهر النقدية الانطباعية في العصر الجاهلي :

1-ظاهرة المفاضلة بين الشعراء و تقديم بعضهم على بعض : و أسباب هذه الظاهرة كثيرة جدا و لعل أهمها العصبية القبلية و الانطباعية التأثرية و التنافس القبلي و وفرتهم في البيئة العربية الجاهلية الى أنفة الانسان الجاهلي و حبه للتفاخر و التقدم على غيره .

يقول الأستاذ شوقي ضيف واصفا هذه الظاهرة (1) " و يظهر أن الشعراء حينئذ كانوا يتفاخرون بشعرهم و يتنافرون فيه كما يتنافر الأشراف في سؤددهم فكانوا يعرضونه على المحكمين ليقضوا بينهم " .

و يعتبر الأستاذ قصي الحسين هذه الظاهرة احدى أبرز وجه النقد الانطباعي في العصر الجاهلي حيث يقول (2) " و لعل الحكم على الشعر من جهة و التنويه بمرتبة الشاعر و مكانته بين الشعراء من جهة أخرى ، كان الميدانين اللذين جال فيهما النقد جولات خفيفة في العصر الجاهلي " .

و لا بد لنا الآن من ضرب أمثلة لهذه الظارة و منه تقديم النابغة الذبياني للأعشى على غيره من الشعراء ثم ثنى بالخنساء بينما ناقد آخر هو عمرو بن الحارث الغساني قدم حسان بن ثابت على النابغة نفسه و على علقمة . (3) و لما سئل لبيد عن أشعر الناس أجابهم بقوله الملك الضليل قيل ثم من ؟ قال : الشاب القتيل قيل ثم من ؟ قال : الشيخ أبو عقيل . يقصد نفسه .

و يقول الدكتور مصطفى عبد الرحمان يصف هذه الظاهرة بالذاتية و البعيدة عن الموضوعية (4) : " من صور نقد الشعر الذاتية عند الجاهليين تقديم شاعرا على غيره

تقديما مطلقا دون إبداء علة معقولة تسوغ التقديم أو تعزز الحكم ، و تخرج به حيز الذاتية و أثر الهوى الى دائرة الموضوعية السديدة " .

---

(1): شوقي ضيف النقد ، دار المعارف القاهرة ط9 ص 26 .

(2): النقد الأدبي عند اليونان معالمه و أعلامه ، مكتبة الأنجلو القاهرة ط1 ص 28 .

(3): نفس المرجع ص 28 .

(4): مصطفى عبدالرحمان إبراهيم في النقد الأدبي عند العرب ، مكة للطباعة ط1 ص 42 .

أن هذا الحكم ليس على إطلاقه لأن عدم إبداء أسباب الحكـــم و علــل التقديـــم لا يعني بالضرورة أنه حكم ذاتي بعيد عن الموضوعية هذا من جهة و من جهة أخرى فإن المتأمل في النماذج القليلة المتوفرة بين أيدينا يلاحظ شيئا من المنهجية الموضوعـــية في هـــذه

المحـــكمات و هذا التفاضل بين الشعراء فالمحكم ليس من هب و دب بل هو الشاعر الفحل المتقدم أو الطاعن في الســـن صاحب التجربة الكبيرة و المتفق على حكومته كالنابغة الذي كانت العرب تضرب له خيـــمة من آدم أحـــمر في ســـوق عكاظ ثم إن هذه المفاضلة لها شروطها و أحكامها كتلك التي نبهت عليهـــا أم جندب حـــين اشترطت وحدة الموضوع و الروي و القافية . فهذه بعض المعالم التي تنبـــئ أن هذه المفاضـــلات لم تخلو قط من شيء من الموضوعية و المنهجية .

-ظاهرة التهذيب و التثقيف : و قد سبق و تحدثنا عن هذه الظاهـــرة في نقد الشاعر لنفسه قبل أن ينقد غيره .

و المقصود بها ما يقوم به الشاعر من تهذيب لشعره و تثقيفه له بحثـــا عن الجودة و الكمال لإرضاء نفسه أولا غير تاح لعمله و لإرضاء العامة و التماشي مع الأذواق و عناية الشاعر بشعره و اهتمامه به بالتصحيح و التعديل و التثقيف هو منحنى و اتـــجاه نـقدي و مدرسة شعرية بدأت في العصر الجاهلي ثم تتابعت خلال العصور الأدبية المتلاحقة .

و لعل أبرز من يمثل هذا الاتجاه هو الشاعر زهير بن أبي سلمة الذي كان يســتغرق تهذيبه للقصيدة حولا كاملا فسميت لأجل ذلك بالحوليات ينظمها في أربعة أشهـــر و ينقـــحها في أربعة أخرى ثم يعرضها على الخاصة في أربعة ليكتمل بذلك الحول قبل أن يعـرضها على عامة الناس .

و لقد سار على هذا النهج ابنه كعب و روايته الحطيئة و في تهذيبه الشعر و تنقـيـحه يقول كعب بن زهير مشيدا بفضله و فضل الحطيئة و حاجة الشاعر إلى الجهـــد و الخـــبرة و التهذيب و التنقيح ليبلغ المرتقى (1) .

*وَ مِنَ القَوافِيْ شَأْنُهَا مَنْ يُحَرِكُهَا * إِذَا مَا ثَوى كَعْبُ وَ فَوْرَ جَرُولْ*

*يَقُوْمُهَا حَتَى تَلِيْنَ مُتُوْنَـــــــــهَا * فَيَقْصُرُ عَنْهَا كُلُ مَا يَتَمَثَـــــلُ*

و في رواية : شأنها من يحركها ، فوز بمعنى مات و جرول هو اسم الحـــطيئة جرول بن أوس بن مالك بن أوس بن مالك .

(1): مصطفى عبدالرحمان في النقد الأدبي عند العرب ، مكة للطباعة ط1 ص 45 – 46 .

و يقول زهير و حامل منهجه التهذيبي الحطيئة في بيان صـــــعوبة الشـــعر في حق من لا يحسن قرضه بالتثقيف و التهذيب .

*الشِعْرُ صَعْبٌ وَ طَوِيْلٌ سُلَّمُهْ * إِذَا اِرْتَقَى فِيْهِ الذَيْ لَا يُعَلِمُهْ*

*زَلَتْ بِهِ إِلَى الحَضِيْضِ قَدَمُهُ * يُرِيْدُ أَنْ يَعُرَ بِهِ فَيَعـْجِمُه*

و مما ذكر الدكتور مصـــطفى عبد الرحـمان في هـــذا الشأن " و عملية التثقيف و التنقيح تصور إدراكهم لقيمة الفن الشعري و ما ينبغي أن يكـــون عليه من جمال و نضج ، و من هنا يصح لنا أن نستنتج أن العرب في تلك المرحلة كانوا على علم و لو غير ناضج بالجمال الشعري و مقاييسه الفنية و معطياته العامة يؤكد ذلك ما سـبق أن ذكرناه من أن بعض كبار الشعراء كزهير مثلا كان ينقح شعره ، فلا يخرج قصائده إلا بعـــد حول كامل يقسمه على مراحل و هذه القصائد سميت بالحوليات " (1) .و لا يكون التنقيح إلا إذا أدرك الشاعر بعض النواحي التي تميزه في عمله هذا .

3-ظاهرة الرواية : يقول الأستاذ شوقي ضيف " فـــرواية الشعر في العصر الجاهلي كانت في الأداة الطيعة لنشره و ذيوعه ، و كانت هناك طبقـــة تحترفها احترافا هي طبقة الشعراء أنفسهم . فقد كان من يريد نظم الشعر و صوغه يلزم شـــاعرا يروي عنه شعره و ما يزال يروي له و لنفسه و لغيره حتى ينفتق لسانه ، و يسيل عليه ينبوع الشعر و الفن " (2) .

و من أشهر هؤلاء الرواة زهير بن أبي سلمة كان يروي لـــعمه أوس بن حجر و كان كعب بن زهير رواية لأبيه و قبلهم كان امرئ القيس رواية لخاله المهلهل .الأعشى كان رواية لخاله المسيب بن علس .أبو ذؤيب الهذلي كان رواية لساعدة بن بؤية الهذلي .

طرفة كان رواية لعمه المرقش الأصغر و كان هو رواية لعـمـــه المرقش الأكبر كما روى طرفة عن خاله المتلمس من بني يشكر حيث تربى طرفة .

و قد كان لظاهرة الرواية دور كبير و أثر عظيـــم في النقد الأدبي الانطباعي خاصة يمكننا التماسه من خلال النقاط التالية :

أ-تعليم صنعة الشعر تقتضي و لابد تحديد بعض مـــعالـــم الجـودة و الرداءة يأخذها التلميذ الرواية عن شيخه الشاعر الفحل يقول الأستاذ شوقي ضيف في هذا المضمار (3) " فالشاعر

(1): مصطفى عبدالرحمان إبراهيم في النقد الأدبي عند العرب ، مكة للطباعة ط1 ص 46 .

(2): شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي ، دار المعارف القاهرة ط1 ص 142 .

(3): شوقي ضيف النقد ، دار المعارف القاهرة ط9 ص 23 – 24 .

المشهور يلزمه تلميذ يروون عنه شعره و هم ليسو دائما من قبيلـته و لا أسرته ، فقد يرحل إلى شباب من قبائل أخرى ليتعلموا الشعر على يديه و لا توضح لـنا كـتب الأدب الطريقة التي كان يتبعها هؤلاء الأساتذة المعلمون في تعليم الشبان الشعر و تلقينـــهم مبادئـــه و

وسائله سـوى ما تجمله من كلمة رواية و هي كلمة غامضة تدل طبيعة الأشياء على أنهم لم يكونوا يكتـــفون بإنشـادهم أشعارهم ، بل كانوا يضيفون إلى ذلك ملاحظات ، يعلمونهم بها كيف يحسنون صنع الشـــعر و كيف يميزون جيدة من رديئة ، و إنما نزعم هذا الزعم لأنه وصلتنا عن معاصريهم بعض الآراء و الأحـكام النقدية و هم بها أولى و أجد لطبيعة قيامهم على صنعتهم و توفرهم على تعليمها للناشئة من الشعراء . "

ب-الانتصار لشعرائهم على حساب غيرهم مـــن الـشعراء سواء كان انتصارا ذوقيا أو غير معللا في كلا الحالتين حكما نقديا فطريا انطباعيا .

جـ-تصرف الرواة في قصائد و أشعار معلميهم بالتعديل و التهذيب .

د-الإنشاد المستمر و الرواية الدائمة من شأنها أن تفتح قريحة النقد و تسهل اكتشاف مواطن القوة و الضعف في القصيدة و إلى جميع هذه النقـــاط يشير الدكتور مصطفى عبد الرحمان بقوله " و أما عن دور الرواية في النقد في العصر الجاهـــلي فـدورها كبير و للرواة منزلة عالية فهم كالصحف السيارة في الذيوع و الانتشار ز كانـــوا يقومـــون بما تقوم به الإذاعة المسموعة و المرئية في النشر و الوصول إلى المستمع المـــشاهد . و هم كالموسوعات في تسجيل الشعر و حفظه ، و معرفة الشعر و أخباره و قصائـده و هم المحامون عن شعرائهم يذودون عنهم و يدافعون عن شعرهم في إخلاص و حمـــــاس ، و مـن هذا المنطلق أباحوا

لأنفسهم نقد هذا الشعر ثم تعديله بما يتماشى مع هذا النقد في حدود ضـــــيقة تجعل الشاعر يتقبل هذا النقد ، و ذلك التعديل ، لعلمه أن رواية شعره ملخص له و لشـــعره ، و لثقته في ذوقه الذي أملى عليه ذلك التعديل ، و قد ساعد الرواة على القيام بهذا الـــدور الذي تقوم به الصحف و الإذاعات و الموسوعات و الذي يقوم به النقاد عدم التدويـــن في ذلـــك الوقت اعتمادا على روايته حفظا من الذاكرة ، و هذا التعديل من جانب الرواة قـــد يفـسر ظاهرة الروايات المتعددة في الشعر على وجه من الوجوه ، من حيث ترتيب القصيدة ، أو اخـتلاف بعض كلماتها ، و من حيث الزيادة أو النقصان في أبياتها ، و دور الرواة – على هذا الوجه – دور ناقد لأن الرواية بنشد شعر من يروي له و عمله يقتضي أن يكرر الإنشاد وهـــذا قد يكشف له – في أثناء الإنشاد أو في أثناء مناقشة ما قاله الشاعر – بعض العيوب الصغـيرة و قد يتجرأ و يحد عمله فيصلح ما تراءى له ، ثن ينشد القصيدة منقحة حرصا مـــــنه على

شاعره الذي يريد له المنزلة العالية و المكانة المرموقة عند من يتلقون شعره من المتـذوقين " (1) .

4-ظاهرة المدارس الشعرية : المقصود بالمدارس الشعرية مجموعة من الشعراء يشتركون معا في بعض المميزات و الخصائص الفنية أو اللغوية أو المنهجية التي تميز شعرهـــم و

و أدبهم و لـــعل من أبـــرز هذه المدارس، مدرسة عبيد الشعر و هم الذين يهتمون بتنقيح و تهذيب أشعارهم – كما تقدم – زعـــيم هذه المدرسة و رأسها كما ذكر صاحب الأغاني هو أوس بن حجر و عنه أخذ زهير بن أبـــي سلـــمة و عنه ابنه كعب و روايته الحطيئة و عن الحطيئة هدبة بن خشرم العذري و عن هدبة أخذ جميل – صاحب بثينة - و عن جميل أخذ كثيرا صاحب عزة (2) يقول الدكتور شوقي ضيف (3) " و هو نص بالغ الخطورة إذ نطلع منه على نشوء فكرة المدارس الشعرية عند الجاهليين " .

و يقول أيضا " نحن إذا بإزاء مدرسة تامة من الشعراء الرواة تتسلسل في طبقات و حلقات و كل حلقة تأخذ عن سابقتها و تسلم إلى لاحقـــتها و من أهم ما يلاحظ في هذه المدرسة أن شعراءها أو رواتها كانوا من قبائل مختلفة في شرقي الجزيرة و غربها " (4) .

و تقابل هذه المدرسة بمر تجلي الشعر و من أشـــهرهم النابغة الذبياني و حسان بن ثابت .

و أحيانا شعراء القبيلة الواحدة يكونون مدرسة متميزة لكثرة ما يأخذون عن بعضهم البعض و يتتلمذون على بعضهم البعض كما يقول شوقي ضـيف " و لعلنا لا نبعد إذ قلنا أن شعراء القبيلة الواحدة كان يروي خلفهم شعر سلفهم و نص الـــقدماء على ذلك في غير شاهد ... و من يقرأ ديوان الهذليين يجد أواصر فنية تجمعهم و تربـــط بـــينهم و على هذا القياس توجد نتائج واضحة بين شعراء قيس بن ثعلبة " و لا بد أن خصائـــص كل مدرسة كانت تختلف عن المدرسة الأخرى و كان هذا الاختلاف معروفا عند النقاد خـــاصتهم و عامتهم و عليه يتم التفاضل و التقديم و التمييز بين جيد الشعر و رديئه .

5-ظاهرة المعلقات : قال ابن عبد ربه " قد بلغ من كلف العرب بالشـــعر و تفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد و تخيرتها من الشعر القديم و كتبتها بمـــــــاء الذهـــب في القباطي

(1): مصطفى عبدالرحمان إبراهيم في النقد الأدبي عند العرب ، مكة للطباعة ط1 .

(2): أبي فرج الأصفهاني الأغاني ، المكتبة الشاملة دار الكتب القاهرة ط1 .

(3): شوقي ضيف النقد ، دار المعارف القاهرة ط9 ص 23 .

(4): شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، دار المعرف القاهرة ط1 ص 143 .

المدرجة و علقتها بأستار الكعبة " و قد اختلفوا في حقيقة تعليقها علـــى أستار الكعبة و قال بعض المحققين أن هذا التعليق إنما من باب الأساطير و أنه تفسير و فـــهم بعض المتأخرين بلفظة معلقات و الحقيقة أن معناها تعلق القلوب و قيل أن اختيار الرجـــل للشعر قطعه من عقله . (1)

و هذا الاختيار يعكس تصور المختار للمثل الأعلى الذي يروقه كـــــما أنه يدل على تذوقه للصور الفنية الناضجة التي كانت عليها القصائد مبنى و معنى ، و التي ظل الذوق العربي يألفها و ينسج على منوالها طول عصور الأدب (2)

6-ظاهرة تسمية القصائد : المـــــقصود بالتسمـــية ها هنا مبنية على أساس نقدي فطري انطباعي كالمعلقات السبع و السموط أو المسمطات و الـمقلدات و البتارات (3) ذكر صاحب الأغاني عن حماد الرواية قوله : كانت العرب تعرض أشعارها على قريش و ما قبلوا منها كان مقبولا ، و ما ردوا منها كان مردودا فقد إليهم علقمة بن عبدة فأنشدهم :

*هَلْ مَا عَلِمْتَ وَ أَمَا اِسْتَوْدَعْتَ مَكْتُومُ * أَمْ حَبْلُهَا أَنْ نَأْتِكَ اليَوْمَ مَصْرُومُ*

فقالو هذه سمط الدهر ثم عاد إليهم في العام المقبل فأنشدهم :

*صِحَابُكَ قَلْبُ فِي الحِسَانِ طَرُوبُ * بَعِيْدُ الشَبَابِ عَصْرُ حَانَ المَشِيْبُ*

فقالوا أهاتان سمط الدهر (4) .

و وصف الأمير العنساني قصيدة حسان بقوله : هذه والله هـي البتارة التي بترت القصائد .

يقول الأستاذ قصي الحسين (5) " فالعرب كان لهم فكرة واسعة جدا عن تصنيف القصائد في مجالسهم و في مواسمهم و ليس من الغرابة أن يقولوا بالبتـــارة و بالمعلقة و بالسمط و هذه تسمية نقدية التي وصلتنا من مرحلة النقد المروري من العصر الجاهلي هي في الواقع أشبه

(1): شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، دار المعرف القاهرة ط1 ص 143 .

(2): مصطفى عبدالرحمان إبراهيم في النقد الأدبي ، مكة للطباعة ط1 ص 50 .

(3): مصطفى عبدالرحمان النقد الأدبي عند العرب و اليونان ، دار المعارف ط1 ص 34 – 35 .

(4): أبي فرج الأصفهاني الأغاني 21/ 206-207 ، المكتبة الشاملة دار الكتب القاهرة ط1 .

(5): مصطفى عبدالرحمان إبراهيم النقد الأدبي ، مكة للطباعة ط1 ص 34 – 35 .

بالمعالم البارزة التي تشير إلى مرحلة النقد الأدبي كانت ازدهار بحيث استطاعت أن تسيطر على جميع المجالس و المنابر و المواسم " و يقول أيضا " و إن الألـقاب التي تـطلق على القصائد مثل : سمط الدهر ، البتارة ، المعلقة ، السبعية . إنما هي نوع من الأحكـام النقدية في معظم الأحيان " .

7-ظاهرة تصنيف الشعراء : ذكر الأصمعي أن العرب كانت تصنف الشعراء بحـسب قوة قريحتهم و تمكنهم من ناصية الشعر .

قال : فأولهم الفحل و الفحولة هم الرواة .

و دون الفحل الخنديد الشاعر المفلق .

و دون ذلك الشـاعر فقط و الرابـع الشعرور و عليه قال أحدهم في هجاء أحد الشعراء :

*يَا رَابِعَ الشُعَرَاءِ فِيْمَا هَجَوْتَنِيْ * وَ زَعَمْتَ أَنِيْ مُفْحَمُ لَا أَنْطِقُ*

و المقصود بالرابع ها هـنا الشعرور من الطبقة الرابعة و قال الجاحظ في تصنيفه للشعراء " و سمعت بعض العلماء يقولو طبـقات الشعراء ثلاثة شاعر و شويعر و شعرور و شويعر مثل محمد بن أبي حمران سماه بذلك امرئ القيس و منهم من بني ضبة المفوض شاعر بني حميس و في ذلك قال العبدي :

*أَلَا تَنْهِىْ سُرَاةَ بَنِيْ حَمِيْس * شُوَيْعِرَهَا فَوَيْلِهْ الأَفَـاعِيْ*

*قَبِيْلَةُ تَرَدَدَ حَيْثُ شَـاءَتْ * كَزَائِدَةِ النَعَامَةِ فِي الكُرَاعْ*

و شويعر أيضا صفوان بن عبدي يا ليل من بـني سعـد ابن ليث و يقال إن اسمه ربيعة بن عثمان "

و قد تقدم تضيفهم إلى عبيد الشعر فئة الصنعـة و التكلف و الفئة المنشودة الطبع و السجية و مما ذكره الجاحظ في هذا التصنيف " و من شـعراء الـعرب من كان يدع القصيرة تمكث عنده حولا كاملا و زمننا طويلا يردد فيها نظره و يقلب فيـها رأيه اتهاما لعقله و تتبعا على نفسه فيجعل عقله ماما على رأيه و رأيه عيارا على شعـره و شفاقا على أدبه و إحرازا لما خوله الله من نعمته ، و كانوا يسمون ذلك القصائد الحولـيات و المنقحات و الـمحكمات ليصير قائلها فحلا خنذيذا و شاعرا مفلقا و روي عن الحطيئة قوله : خير الشعـراء الحولي المحكك " (1)

(1): الجاحظ البيان و التبيين ، دار و مكتبة الهلال بيروت ط3.

و كان الأصمـــعي يقول : زهير بن أبي سلمة و الحطيئة و أشباههما عبيد الشعراء و كذلك كل من يوجد في جميع شعره يقف عند كل بيت قاله و أعاد فيه النظر حتى يخرج بيات من قصيدة كلها مستوية في الجودة (1) .

يقول الأستاذ قصي حـــسين " فتصنيف النقاد في العصر الجاهلي لفئات الشعراء و الخطباء هو الذي كان يدفع بالشـــاعر لينقد غيره ، و هذا النوع من النقد هو نقد انطباعي مبكر و هو الذي قلنا عنه النقد الذاتـــي ، أمـــــا التصنيـــف فهو النقد الذي كان يواكبه و يحاذيه فيخشاه الشاعر أشد الخشية فيعمد على تجويد شعره حـــــتى لا يصيبه سهام النقاد الانطباعيين "(2)

ثانيا : مظاهر الانطباعية في العصر الجاهلي :

إذ نـظرنا في خصائص النقد الجاهلي فنجد أنها كلها انطباعية غير خاضعة للقواعد و تكون دوافعـها ذاتية و إن تعددت هذه الخصائص . إذن و بدون إطالة نمر إلى هذه الخصائص ك

1-الذاتية : المـــقصود بها الـــبعد عن الموضوعية و تأثر الناقد بعوامل خارجة عن النص الأدبي و سنكتفي بالدليل على هذه الميزة و السمة بنموذج حكومة أم جندب ، فقد اتهم امرئ القيس زوجته بعدم الموضوعية و أن حـــكمها إنما أصدرته لصالح علقمة لتعلقها به و حبها له لا لشاعريته و قوة أدبه ، و لعل في زواجها لـــــه بعد هذه الحكومة إن صحت الرواية ما يقوي شكوك و ظنون امرئ القيس ، و إن نحن أحـــــسنا الظن بالمرأة ، فان حكمها لا يخلو من تأثيرا خارجية بعيدة عن الموضوعية .

2-الجزئية : فقد كان النقد لا يتتبع النص الأدبي كله يبحث في جميع مناحيه و يدقق في كل أدزائه بل يقتصر على البيت أو البيتين أو على لفظـــــة أو لفظتين ، كما فعلت أم جندب في اقتصارها على مقابلة بيتين من القصيدة لا غير.

يـــقول الأستاذ شوقي ضيف " و قد يكون أدخل هذه الأحكام في باب حكم النقد زوجة امرئ القيس و مع ذلك فأنها وقفت عند جزئية و قد يكون علقمة أشعر في هذه الجزئية من زوجها و لكن زوجها أشعر منه في القصيدة جمـــــــيعها ، على إن العيب قد يكون في فرس امرئ القيس ، فهو و صاحبه جميعا إنما يصفان الواقـــع ، و حتى إذا سلمنا لها بأن قصيدة علقمة

أجود من قصيدة زوجها ، فان ذلك لا يعطيها الحـــق في أن تحكم له حكما عاما بتفوقه في

(1): الجاحظ البيان و التبيين ، دار و مكتبة الهلال بيروت ط3.

(2): مصطفى عبدالرحمان إبراهيم النقد الأدبي ، مكة للطباعة ط1 ص 60 .

شاعريته عليه و أنه أشعر منه " (1) .

3-عدم التعليل : أي أن النقد الجاهلي كان يصـــدر أحكامه بالاستحسان أو بالاستهجان دون أن يلزم نفسه بهذه الأحكام و بيان وجه استحسانـــــه أو استهجانه للنص الأدبي أي انطباعية فطرية محضة .و لعل من أبرز هذه الأمثلة حكومـــــة ربيعة بن جذار الأسدي بين الشعراء الأربعة ، و من مفاضلتهم و تصنيفاتهم للشعر و الشعـــراء و تقديماتهم لبعضهم على بعض دون بيان لعلة أو سبب . يقول الأستاذ قصي حسين " لا يضـطر الناقد للتعليل و التفسير في نقده و هو إذا اضطر للتعليل أو التفسير فإنما نراه كثيرا الإيجـــــاز من جهـــة و في غاية البساطة و الوضوح من جهة أخرى" (2).

4-الايــجاز : يقول الدكتور مصطفى عبــد الرحمان " و نعني به أن الناقد كثيرا ما يغلف

حكمه الــنقدي بعبارة موجزة يفهم منها ما يراد و لكن دون شرح أو تفصيل ، و ذلك يتضح من نقد طــرفة لشعر المتلمس سابقا ، حينما قال ' استنوق الجمل ' فهذه عبارة موجزة تحمل حكما نقديا عيب به على شعر المتلمس الذي وصف الجمل بصفة الناقة " (3).

و يقول الأستاذ قصي حسين : " إن معظم النماذج النقدية التي وصلتنا من العـصر الجاهلي و إنما كانت تتصف بالإيجاز الشديد و التركيز على ناحية معينة من نواحي القـــــصيدة و الاكتفاء باللمحة المقتضبة أو الإشارة السريعة التي تدل على استحسان شعر أو بغضـــــه و مقته " (4) .

5-تحكم العرف : أي أن عرف العرب و الذوق العام هو المعلم الرئيسي للنقد الجاهلي كل ما وافق العرف فهو حسن و جيد و كل ما خالف هذا العرف و الذوق فهو السيء و القبيح .

يقول شوقي ضيف " و قد اندفع الشاعـــــر يحاول إرضـــــاء هذا الذوق أن يقع منه موقع استحسان ، و ربما كان ذلك السبب الحقيقي في وقوفه بشعره عـــند مـوضوعات بعينها بل عند موضوعات بعينها ، بل عند معان و ألفاظ بينما يقول زهير:

*مَا أَرَنَا نَقُوْلُ اِلَا مُعَارًا * أَوْ مُعَادَ مِنْ لَفْظِنَا مَكْرُورًا*

(1): شوقي ضيف النقد ، دار المعارف القاهرة ط9 ص 55 .

(2):مصطفى عبدالرحمان إبراهيم النقد الأدبي عند العرب و اليونان معالمه و أعلامه ، دار المعارف ط1 ص 35 .

(3): مصطفى عبدالرحمان إبراهيم في النقد الأدبي القديم عند العرب ، مكة للطباعة ط1 ص 54 .

(4): قصي حسين النقد الأدبي عند العرب و اليونان معالمه و أعلامه ،المؤسسة الحديثة للكتاب ط1 ص 23 – 24 .

فهو مقيد بأسلوب فني يتبعه و يقلده ، و هو لا يستطيع أن ينحرف عنه ، فلا بد له حين ينظم قصيدة أو مطولة أن يستهلها بالبكاء على الأطلال ثم يتحدث عن رحلته في الصحراء و يصف في أثناء ذلك ناقته ثم يخرج إلى غرضه من مديح و غير مديح و هو لا يصنع ذلك حرا ، فلا بد له أن يتمسك بالمعاني و الصيغ الثابتة التي يدور فيها الشعراء من قبله و من حوله حتى لا ينصرف جمهور السامعين عنه ، و حتى يبلغ من التأثير فيه ما يريد " .

6-الروح الشعرية في النصوص الأدبية : المقصود هاهنا أن النقد الجاهلي كان يصاد أحكاما نقدية في قوالب فنية بديعة و بأساليب بيانية راقية لقد كانوا يحسنون إعراب عن تأثرهم بالنص و الإفصاح عن إعجابهم به ، و انظر بإمعان إلى إحكام ربيعة بن جذار الأسدي بل استمع جيدا للكلمة الوجيزة التي صارت مثلا يضرب ' استنوق الجمل '

يقول قصي حسن " و لشدة اشتقاق النقد من الشعر و شدة اتصاله به كاد النقد في العصر الجاهلي أن يكون قريبا من الروح ... من بعض الأغراض الشعرية فهو يعيب على الشاعر قوله كأنه يهجوه كما يثني على شاعر و آخر كأنه يمدحه " (1).

7-النقد الفطري : و هذا النوع من أن تجسد في نوع من الخصائص فقد كان أكثر انتشارا كان ذاتيا فطريا انطباعيا غير خاضع ، و كان يعتمد على ذوق الشاعر و على سلامة سليقته .يقول الأستاذ قصي حسين " و لا شك أن العربي كان يحس بأثر الشعر إحساسا فطريا و عفويا بعيدا كل البعد عن التعقيدات و أنواع التعليل و التبرير ، و انه يتذوقه جبلة و طبعة ، أما حكمه على الشعر فهو يستند إلى ذائقته الأدبية و حسن سليقته و بالاعتماد على ذلك يتم الحكم على الشعر و الشعراء " (2).

و يقول الدكتور مصطفى عبد الرحمان " إن طبيعة الأحكام النقدية في العصر الجاهلي اتسمت بالذوق الفطري فلم تكن للنقد أصول معروفة ولا مقاييس مقررة ، بل كانت مجرد لمحات ذوقية و نظرات شخصية و تقوم على ما تلهمهم به طبائعهم الأدبية و سليقتهم العربية و أذواقهم الشاعرة و حسهم اللغوي الدقيق بلغتهم و احاطتهم بأسرارها و وقوفهم على ما للألفاظ من دلالات و إيحاءات في شتى صورها " (3) .

(1): قصي حسين النقد الأدبي عند العرب و اليونان معالمه و أعلامه ،المؤسسة الحديثة للكتاب ط1 ص 57 .

(2): قصي حسين النقد الأدبي عند العرب و اليونان معالمه و أعلامه ، المؤسسة الحديثة للكتاب ط1 ص 29 – 30 .

(3): مصطفى عبدالرحمان إبراهيم في النقد الأدبي القديم عند العرب ، مكة للطباعة ط1 ص 51 .

8-تأثر العصبية القبلية : لا شك أن الجو العام الذي كان يسود البيئة العربية و يعمها سيؤثر و لا بد في النقد الأدبي و لعل أبرز ظاهرة اتسم بها هذا العـــصر هي العصبية القبلية و ما صاحبها من تفاخر و تنافر و لهذا قال ابن سلام الجمحي " إن القــبائل قد قالت بأهوائها " (1) .

و يقول الأستاذ قصي حسين " كثيرا ما كان النقد في العصر الجاهـــلي متأثرا بهوى الناقد الذي كانت روحه المشبعة بالنزعات العصبية أو القبلية و الأهواء الشخصية في التمدح أو الذم " (2) .

9-التعرض لأمور خارجة عن النص : غالبا ما كان النقد يتعرض لأمـــــور خارجة عن النص كما فعل أحيحة بن الجلاح مع ناقة الشماخ و كما فعلت أم جندب مع فـــرس أو ناقة زوجها و علقمة .

*و من كل هذه المعطيات و الكم الهائل من الشواهد يمكن القول أن الـــنقد في الـــعصر الجاهلي ، كان نقدا انطباعيا مبنيا على الذوق الفطري الذي قد يحس الجمال دون أن يعرف سببه . إذ يرى أن الناس يفهمون ما يقوله و يدركون ما يدركه و قد يفصح عن السبب لكن

إفصاح مبهم ، و يمكن القول أن ملكة النقد عند الجاهليين هي الذوق الفني المحـــض و قد خضع هذا الذوق الفني لملكة العـــقل دول الرجوع للـــــقواعد و الـــــمناهج النقدية .

(1): ابن سلام الجمحي طبقات الشعراء ، دار الكتب العلمية ط1 ص 25 .

(2): قصي حسين النقد الأدبي عند العرب و اليونان معالمه و أعلامه ، المؤسسة الحديثة للكتاب ط1 ص 29 .

الفصل الثانـي

الانطباعية في النقد العربي القديم في صدر الإسلام

المبحث الأول: المفاضلات الانطباعية بين الشعراء و النقد الانطباعي عند الرسول – ص –

المطلب 1: المفاضلات الانطباعية

المطلب 2: النقد الانطباعي عند الرسول – ص –

المبحث الثاني: النظرات النقدية الانطباعية للخلفاء الراشدين و المقاييس النقدية الانطباعية

المطلب 1: النظرات النقدية الانطباعية للخلفاء الراشدين

المطلب 2: المقاييس النقدية الانطباعية

لا يستطيع ناقد من النقاد الذين يكتـبون عن النقد في عصر صدر الإسلام ، أن يخوض لجة هذا البحر إلا إذا لفت الأنظار إلى الـينبوع الأول في تكوين هذا العصر الأدبي و هو القرآن الكريم ، الذي بهر العرب – و في مقـدمتهم الشعراء – بروعة أسلوبه و سحر بيانه ، و هم فرسان القول ، و أساطير البلاغة و الفـصاحة ، و استقين الشعراء أنه ليس في استطاعتهم أن يجاروا أسلوبه و تراجعوا و تقهقروا .

و قد أحدث القرآن تأثرا كبيرا في حيـاة العرب فقد نقلهم من البلاوة إلى الحضارة ،فتحضر بذلك أدبهم ، و هو الذي وصله بالأمم و الثقافات الأخرى ، فتحضر بذلك شعرهم و نثرهم ، و هو الذي كون بهم إمبراطورية إسلامـــية كبرى فذاعت آثارهم و اتسع أفقها ، و تعددت بيئاتها و هو الذي جعل العرب – أو المسلمـــين – يطبعون الحضارة العامة بطابع إسلامي خالد (1) .

و مما هو معروف لدى نقاد الأدب و دارســـيه أن القرآن قد جمع العرب على لهجة قريش التي نزل بها ، و أنه حول العربية إلى لغة قويـــمة و حفظ لها أصولها و معالمها كما أحل فيها معاني جديدة و ألفاظ جديدة عبرت عن هـــذه الـــــمعاني ، و أنه كذلك هذب اللغة من الحوشية و الألفاظ الغريبة و اختلط أسلوب جزل لـــه طلاوته و رونقه مع وضوح قصده و الوصول إلى غرضه من أقرب طريق (2) .

و لما كان العرب مفطورين على تذوق جيد للكلام ، فـلقد وقفوا أمام بلاغة القرآن مبهورين مشدوهين ، و لذلك لقوة تأثيره في الـــــنفوس و جمال وقوعـــــه في الأذان ، و بما له من خصائص أسلوبية تميز بها عن كلامهم و بنفيها آدابهم حتى وجدنا من صد عن الدعوة و لم يذعن لصاحبها – صلى الله عليه و سلم – لم يـقوا على أن يكتم إعجابه أو يخفي دهشته عن رواية القرآن الكريم و أخذه بناصية القلوب (3) .

و ذلك كما كان من الوليد بن المغيرة الذي وصـف القرآن وصفا دقيقا في قوله الذائع : " إن له الحلاوة ، و إن عليه لطلاوة ، و إن أعلاه لمثمر ، و إن أسفله لمغدق ،

(1): سليمان حسن ربيع في الأدب الإسلامي ، مطبعة السعادة ط1 ص 26.

(2): راجع : أثر القرءان في اللغة العربية للشيخ أحمد حسن الباقوري ، و تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي د.شوقي ضيف ج 2 ص 30 و ما بعدها بتصرف ط دار المعارف الثامنة .

(3): محروس منشاوي الجالي النقد الأدبي ، دار المعارف ط1 ص 118 .

و انه يعلو و لا يعلى عليه " (1) . ومــع أن القوم كانوا أرباب فصاحة و لسان و أنهم جدوا في العناد و لجوا في المكابرة ، فلقد تحداهم القرآن بأن يأتوا بمثل أقصر سورة فعجزوا ، و هيهات لهم أو لغيرهم أن يأتوا بمثل ما تـــحداهم به ، {*قل لئن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعضهم ظهيرا* } (2).

ومن ثم كان القرآن ينبوعا قويا من الينابيع التي أكسبت اللغة عذوبة في اللفـــظ ، و رقة في التركيب ، و دقة في الأداء ، و قوة في المنطق ، و ثروة في المعاني (3) و هناك ينبوع أخر هو كلام الرسول الذي كان في فصاحة لسانه و بلاغة قوله بالمحل الأفضل و الموضع الذي لا يجهل و سلالة الطبع و براعة المنزع ، و ايجا المقطع ، و فصاحة لفظ و جزالة القول و صحة المعنى ، و قلة التكلف (4) .

(1): ابن هشام السيرة النبوية ، دار الفكر بالقاهرة ط1.

(2): سورة الإسراء الآية (88) .

(3): حسن الزيات تاريخ الأدب العربي ، مطبعة دار النهضة مصر ط1 ص 90.

(4): راجع : النتاج الأدبي للشيخ عبد المتعال الصيعدي موضوعاته و خصائصه (رسالة دكتوراه للمؤلف) ص 543 .

المبحث الأول: المفاضلة الانطباعية بين الشعراء و الأحكام النقدية الانطباعية عند الرسول - ص -

المطلب الأول: المفاضلة الانطباعية بين الشعراء .

استوقفتنا مصطلحات نقدية في عصر ما قبل الإسلام و كانت جلّها انطباعية مثل أشعر الشعراء ، أشعر الناس ، أشعر العرب .و قد اختلفت في المعنى من عصر لآخر و مما لا ريب فيه أن الذوق قد اختلف عن ما كان عليه و النظرة إلى الشعر اختلفت و الحصول على هذا التعبير هو تغير الحياة و تغير الفكر و المفاهيم تبعا لما جاء به الإسلام من فكر عقيدي و إيمان راسخ و قد تغيرت أيضا نظرة المسلمين إلى الأدب و الشعر ، و تطورت عن ما كانت عليه في الجاهلية و ما يهمنا نحن المفهوم النقدي الانطباعي للمفاضلة بين الشعراء و منه إذا بدءنا نتتبع المصطلحات نجد رسولنا الكريم هو أول من أطلق أشعر الشعراء في عصر صدر الإسلام عند حديثه عن امرؤ القيس ، إذ قال " أشعر الشعراء و قائدهم إلى النار " و هذا الرأي نابع من تعاليم إسلامية دينية و مع معرفة الرسول لأشعر الشعراء إلا أننا نجد مناقشات أدبية بينه و بين حسان بن ثابت إذ جاء في نهج البلاغة أنه قد حدث عوانته عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لحسان بن ثابت من أشعر الناس ؟ قال أزرق العيون من بني قيس ، قال لست أسألك عن القبيلة ، إنما سألتك عن رجل واحد فقال حسان : يا رسول الله إن مثل الشعراء و الشعر كمثل ناقة نحرت ، فجاء امرؤ القيس من بني حجر فأخذ سنامها و أطابيها ثم جاء المتجاوران من أوس و خزرج فأخذوا ماء و إلى ذلك منها ، ثم جعلت العرب تمزعها ، حتى إذا بقي الفرت و الدم جاء عمرو بن تميم و النمر بن قاسط فأخذاه فقال الرسول ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها ، خامل يوم القيامة معه لواء الشعر إلى النار . (1)

و يروى أن لبيد مر من الكوفة في بني فهد سألوه عن أشعر الناس " فقال الملك الضليل يعني (امرؤ القيس) ثم الغلام القتيل (طرفة) ثم أبوعقيل (يقصد نفسه)" . (2)

فالنص يوضح ثلاث نقاط كلها تدور في فلك الشعر و لكنها جاءت متسلسلة من حيث المرتبة و لا غرور فيها امرؤ القيس أشعر الناس في المرتبة الأولى و بهذا أفضلهم مكانة و منزلة إذ هو قمة الشعراء في نظر لبيد و يبدو ان هذا الحكم يقترب من حكم جمهور الأدباء ثم يأتي طرفة في المرتبة الثانية و قد وضع نفسه أي لبيد في المرتبة الثالثة تواضعا و لكنه

(1): ابن أبي حديد المعتزلي شرح نهج البلاغة ، دار الكتاب العربي ط1 .

(2): أبو فرج الأصفهاني الأغاني 381/15 ، دار الكتب القاهرة ط1 .

في نـــفس الوقت أفضل الشعراء الذين لم يذكرهم و يبدوا أن ذوقه فطري انطباعي و دربته ثقافته و مـــكانته أهـــلته إلى إصدار مثل هذا الحكم و قد كان الحطيئة ممن يفاضلون . بين شعراء فسئل عن أشعر الناس فقال : الذي قال :

*وَمَنْ يَجْعَلْ المَعْرُفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ * يَفِرُهُ وَ مَنِ لَا يَتَقِ الشَّتْمَ يُشْتَمُ*

يعني زهيرا ، ثم سئل ، ثم من؟ قال: الذي قال :

*مَنْ يَسْأَلْ النَّاسَ يَحْرِمُونَهُ * وَ سَائِلُ اللهِ لَا يَخِيبُ*

يعني عبيد بن الأبرص ، (1)

و يبدوا أن ذلك كان حـــكما ذاتيا نقديا انطباعيا نابع من إعجاب و استحسان الحطيئة لشعر شاعرين يشهد لهما بأنهما أشعر الناس .

و قد سأل ابن عباس الحطيئة عن أشعر الناس فأجابه :

*وَمَنْ يَجْعَلْ المَعْرُفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ * يَفِرُهُ وَ مَنِ لَا يَتَقِ الشَّتْمَ يُشْتَمُ*

وليس الذي يقول :

*وَ لَسْتُ بِمُسْتَبِقٍ أَخًا لَا تَلُمْهُ * عَلَى شَعْثِ أَيِ الرِجَالِ المُهَذَّبِ ؟*

فالحطيئة أصدر حكما نقـــديا انـطباعيا يعدّ فيه زهيرا أشعر الناس و ليس النابغة بدونه لولا التكسب الذي أفقده ميزة أنه يقـــول الشـــعر لا عن رغبة أو رهبة تلك الضراعة التي تفسد الشعراء و منهم جرول فيقولون مالا صـدق فيه و التي لولاها لكان الحطيئة أشعر الماضيين و هو بذلك يرى ان الطمع يفسد الشعر صدقه و يقلل من قائله و هذا المعيار الذي نتكلم عليه هو الذي وضع الإمام علي في ان مكانة الـشاعر و الشاعرية مشروطة بالبعد عن الرعب و الترهيب إذن منه نجد أن حكم الإمام علي نفسه حكم الحطيئة .

و يمكن القول فيما تقدم من أحكام و مفاضـلات (أن أشعر الناس) و مرادفاتها قد كانت من الملاحظات الانطباعية النقدية المهمة التـي أبداها نقاد هذا العصر في المفاضلة بين الشعراء و يبدوا أنها ارتبطت بالمديح أكثر من غيـــره ، فعمر فضل زهير و كان أحد أفضل أسباب

(1): ابن رشيق القيرواني العمدة 98/1 ، دار السعادة القاهرة ط1 .

التفضـــيل أنه لا يمـــدح الـرجل إلا بما فيه و أنه لا يتبع حواشي الكلام و لا يعاضل (1) .

أما علي رضي الله عنه قد فضـــل امـــرؤ القيس لأنـــــه أسبقهم بادرة و أصحهم نادرة و لا يقولون لرغبة ولا رهبة و تبعه في ذلك حسان ، و قد جـعل الحطيئة معيار للتفضيل فإنه قد أضاف شيئا للمفاضلة و هو (الصدق الواقعي) فالشاعـــــر الأشعر هو الذي لا يسعى إلى التكسب بدليل انه أقصى النابغة و نفسه بسبب ، و في الوقت نفسه يـرى ان الطمع و الجشع يدفع الشاعر إلى الإجادة بدليل عندما سئل عن أشعر الناس فأخرج لـسانه و قال : " هذا إذا طمع " .

و مما ينبغي لنا أن نذكره و لا نهمله أن النقـد الانـــطباعي في عصر صـــدر الإسلام بدأ بخطوات واسعة تطور خلالها شكلا و مضمـــونا غـيـر أن عصر الرسول صلى الله عليه و سلم مال إلى التوجيه في مضمون الشعر و لم يعمـــل الـــجانب الجمالي و الفني و كان تشجيعه الشعر و الشعراء لضرورة عقائدية .

أما عهد الخلفاء الراشدين فقد نحى النقد فيه منحى جديدا إذ غرس بذرة النقد الرئيسية متمثلة بالموازنة و المفاضلة و التفسير الذي أضاف بعدا دقيقا للنقد ، فـقد كانوا رضوان الله عليهم من أهل الفصاحة و البلاغة ، و كانوا يتذوقون الشعر و يتمثلون بـه و يدعون إلى رواية ما وافق الحق منه و ينهون عن رواية مالا يوافق الحق ، ناهجين في ذلـك نـهج النبي في نقده للشعر ، و لا ريب في أن أحكامهم أسهمت في توجيه الشعر وجهة إسلامـية و فـتحت أفاق جديدة أمام النقد الأدبي .

(1): أبي فرج الأصفهاني الأغاني 286/16 ، دار الكتب القاهرة ط1 .

المطلب الثاني: النقد الانطباعي في أحكام الرسول صلى الله عليه و سلم النقدية

إذن في هذا المطلـــب نتـكلم حول النظرة النقدية الانطباعية لرسول صلى الله عليه و سلم و طبع و فطرة و خلقه الرســـول معلومة و معروفة لدى الجميع حيث سن سننه أيضا في نقد الشعر و من طبعته فالموضـــــوعات التي تتميز بالخلق و تذود عن الدين فهي جيدة و من تحتوي على مساوئ الأخلاق و فـيها الهـــجاء القبـيح و تذود عن المشركين فهي سيئة ، بالحديث عن النظرة النبوية النقدية تتكلم عن موضوعين نقد المضمون و نقد الشكل :

أولا : نقد المضمون :

إذا نظرنا إلى ما أثر على النبي من أحاديث و تعليقـات عن الشعر و الشعراء، باستحسان أو استهجان نجدها مركزة على موضوع و مضمون الشـعر و ما يحمله و قد كان هذا الاهتمام بمادة الشعر الانطباعية لأمور منها:

1-أن النبي أرسل مصلحا معلما هاديا و دالا على الخيـر، محارب مفاهيم الجهل و الجاهلية و أمثلها منحرفة فاسدة.

2-الشعر في ذلك الوقت أثر كبير في توجيه و ترشـيد و الذود عن القوم، حيث أنه مستودع فكرهم و علمهم، و سجل حكمتهم، و من ثم كان طبيـــعيا و ضروريا تأصيل القيم الرفيعة لهذا الفن المهم في حياة العرب.
3-أن الأداة الفنية – عند الحديث عن نظرية إسلامية فـي الـــفن الشعري مثلا – لا تشكل عبقرية، و لا تحدث إشكالية معينة فالإسلام لا يلزم الشعراء بأسلوب فني محدد و لا يقيدهم، و إنما يترك ذلك للشعراء. في كل زمان و مكان، حيث كان العـــرب أساتذة في فن القول، أساطين في البلاغة و البيان، و عندما تعانق هذه الأداة المتعلقة قيما رفيعة يصل الشعر إلى القمة السامية النبيلة التي يرضها الرسول و الإسلام (1).

و كل ملاحظ لنقد المضمون في كلامه صلى الله عليه و سلم يـــرى أنه يتفرع إلى فرعين أحدهما نمط الاستحسان و الثاني نمط الرفض و الاستهجان.

أما الفرع المستحسن لرسول فهي نماذج معينة ، و كان استحســـــانه لها يمثل موقفا نقديا انطباعيا توجيهيا إلى نمط من القول تصلح به الحياة و يرضى عنه الإســـــلام و كان له تعقيبات و تعليقات على هذه النماذج ترسم طريق و منهج و منوال صحيح في بـــناء شعر

(1): وليد قصاب النظرة النبوية في نقد الشعر ،المكتبة الحديثة العين ط1 ص 59 – 60،

إسلامي صحيح و تصور سليم الرؤية .-قال صلى الله عليه و سلم: أصدق كلمة قالـها شاعر قول لبيد:" أَلَا كُلُ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلٌ " (1).و كان يعجب بقول طرفة :

*سَتُبْدِيْ لَكَ الأَيَامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً * يَأْتِيْكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِدِ*

و يقول: " إنها كلمة نبي " (2)

و بقول عدى بن زيد :

*عَنِ المَرْءِ لَا تَسَلْ وَ سَلَ عَنْ قَرِيْنِهِ * فَكُلُ قَرِيْنٍ بِالمُقَارِنِ يَقْتَدِيْ*

و يقول الرسول على هذا البيت: " كلمة نبي ألقيت على لسان شاعر " (3)

و سمع عائشة تنشد قول شاعر :

*اِرْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يُحْرِبُكَ ضُعْفُهُ * يَوْمًا فَتُدْرِكُهُ عَوَاقِبُ مَا جَنَـى*

*يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِيْ عَلَيْكَ وَ إِنْ مِنْ * أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى*

فقال: " صدق يا عائشة، لا يشكر الله من لا يشكر الناس " (4)

و أنشد قول سويد بن عامر المصطفى :

*لَا تَأْمَنَنَ وَ إِنْ أَحَسَيْتَ فِي حَـرَمِ * إِنَ المَنَايَا بِجَنْبِيْ كُلِ إِنْسَـانِ*

*فَأُسْلُكْ طَرِيْقَكَ تَمْشِيْ غَيْرَ مُخْتَشِعٍ * حَتَى تُلَاقِيْ الذَيْ مَنَى لَكَ المَانِيْ*

*فَكُلُ ذُو صَاحِبٍ يَوْمَ مُفَارِقُـهُ * وَ كُلُ زَادٍ إِنْ أَبْقَيْتَـهُ فَـانِ*

*وَ الخَيْرُ وَ الشَرُ مَقْرُوْنَانْ فِي قَرَنِ * بِكُلِ ذَلِكَ يَأْتِيْكَ الجَـدِيْـدَانِ*

فقال النبي :" لو أدرك هذا الإسلام لأسلم " (5)

---

(1): فتح الباري 10/ 448 ،. أحمد بن علي بن حجر شرح صحيح البخاري دار المعارف بيروت ط1 .

(2): ابن عبد ربه العقد الفريد 6/ 105 ، مكتبة الرياض الحديثة ط1 .

(3): الثعالبي الإيجاز و الإعجاز ، مكتبة القرآن القاهرة ط1 ص 38 .

(4): ابن عبد ربه العقد الفريد 6/ 09 ، مكتبة الرياض الحديثة ط1 .

(5): نفس المرجع و الصفحة .

و قال لكعب بن مالك: أترى الله نسى لك قولك

*زَعَمَتْ سَخِيْنَةُ أَنَ سَتَغْلِبُ رَبَّهَا * وَ لَيَغْلَبَنَ مَغَالِبُ الغِلَابِ (1)*

و ينشد بن رواحة في مدحه

*فَثَبتَ اللهُ مُتْ آتَاكَ مِنْ حُسْنِ * تَثْبِيْتُ مُوسَى وَ نَصْرًا كَالَذَيْ نَصَرُواْ*

فيقبل عليه بوجه، و يقول داعيا له " و إياك فثبت الله يا بن رواحة (2)

و ينشده الجعدي قائلا :

*وَ لَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ * بَوَادِرٌ تَحْمِيْ صَفْوَهُ أَنْ يُكْـدَرُ*

*وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لُهُ * حَلِيْمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرُ*

فيزداد حب الرسول للشعر و للروح الدينية و يقول له: أجـــدت لا يفضض الله فاك ، قال : فبقي عمره لا ينقص له سن (3)

أما عن الفرع الثاني الذي استهجنه الرسول صلى الله عليه و سلم و رفضه و أبدى منه ملاحظات عدم الرضي و التحفظ ، لأن الدين جديد كانت الـــــرؤية لإسلامية لم تكن شديدة الوضوح لدى أصحابها ، فما تزال تشوب هذه الرؤية نزاعات جاهلية تفسد صفاءها و تعكر سلامتها ، فقد كان نقد الرسول انطباعيا سديدا وجيها . (4) و لفت نظر للشاعر إلى أن يلتزم بالحق، و ألا ينجر وراء مفهوم الآية التي نزلت في سورة الشعراء.

سمع الرسول رجلا ينشد :

*إِنِي اِمْرِئُ حِمْيَرِيٌّ حِيْنَ تَسْئَلُنِيْ * لَا مِنْ رَبِيْعَةَ آبَائِيْ وَ لَا مُضِرُ .*

فقال له: " ذلك ألام لك و أبعد من الله و رسوله " (5)

حيث أن الرجل يفخر فخر الجاهلية ، و قد نهى الإســـلام عن هذا ، يفخر بحمير و يسفه ما

(1): ابن سلام الجمحي طبقات فحول الشعراء 1/ 222 ، دار الكتب العلمية الرياض ط1 .

(2): ابن رشيق العمدة 1/ 210 دار السعادة القاهرة ط1 .

(3): ابن قتيبة الشعر و الشعراء 1/ 295 ، دار المعارف القاهرة ط2 .

(4): وليد قصاب النظرة النبوية في نقد الشعر ، المكتبة الحديثة العين ط1 ص 42 .

(5): البيهقي المحاسن و المساوئ ، دار صادر بيروت ط1 ص 86 .

عداها و هو فرح بأنه منها و ليس من ربيعة أو من مضر .

و أنشد النابغة الجعدي بين يدي الرسول :

*بَلَغْنَا السَمَاءَ مَجْدَنَا وَ جُدُوْدَنَا * وَ إِنَا لَنَرْجُوْ فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا* (1)

فقال الرسول :" إلى أين المظـــهر يا أبا ليلى ؟ " حيث أنه ينبهه بهذا التساؤل الفطن إلى ما في ظاهر الكلام من استعلاء جـــاهلي ، فأجابه : " إلى الجنة " ، و قبل الرسول الجواب ما دام صاحبه قد فهم المراد ، فأمن على قوله : " إن شاء الله " .

و عندما أنشده كعب بن زهير مادحا في قصيدته المشهورة و فيها :

*إِنَّ النَبِيَ لَنُوْرٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ * مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوْفِ الهِنْدِ مَسْلُولُ*

فقال له مصححا : " بل من سيوف الله " (2) فشـــــتان في القيمة و الأهمية بين سيف الله و سيف الهند .

و من كل ما قدم نجد أن نقد المضمـــون عند النبي كـــان نقدا انطباعيا توجيهيا دفع الشعر للاغتراف و الأحد من بحر العقيدة، و كـــــل ما اتفـــق معها فهو الحق، و كل ما جافاها مستهجن يحتاج إلى توجيه و تصويب لا بد منه .

ثانيا : نقد الشكل:

تأثر الرسول صلى الله عليه و سلم بأقوال حددت بعض المـــــلامح لفن القول و نجد أنها لا تخص الشعر بل تعدت إلى النثر كالخطبة و الموعظة و من هذه الملامح نجد :

1-الطبع و التكلف :

هذا عنصر نقدي دقيق يعتبر وليد عصر صـــــدر الإسـلام و أثر من آثار الثقافة الجديدة – القرآن و السنة – فلقد ذم القرآن التكلف و نهى عـــنه و أمر الرسول بالتبرؤ منه في قوله:{' *قل ما أسألكم عليه من أجر و ما أنا من المتكلفين* }. (3)

و لقد أثر على النبي أقوال كثيرة نهى ع التكلف والمبالغة و التـشدق و التنطع فقال : (هلك

(1): ابن قتيبة الشعر و الشعراء 1/ 296 ، دار المعارف القاهرة ط2 .

(2): المزرباني معجم الشعراء ، دار صادر بيروت ط1 ص 231 .

(3): سورة ص الآية 86 .

المتنطعون) أو(هلك المكثرون) (1) .

و قال في حديث آخر : (إن أبغضكم إلي و أبعـــــدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون و المتشدقون و المتفيهقون) (2) .

فالبلاغة تـــنفر من التقعر و التكلف في القول، فإن ذلك مما ينافي الطبع و الفطرة الاسلامية ، و يحول بـين الكلام و بين وصوله الى النفس لأنه لم يصدر عن طبع سليم و سليقة صافية و انما هو نتاج الكد و الاستكراه . (3)

و من منطـــــق ذم التكلف و تهجين صاحبه و عيب نطقه إنكار الرسول من سأله قائلا : " أرأيت من لا شـرب و لا أكل و صاح فاستهل (4) أليس مثل ذلك يطل " (5) بقوله : " أسجع عسجع الجاهلـــية " (6) لأن هذا النوع من السجع ممقوت يتوارى خلفه المعنى و تفقد قيمته بين الصنعة و هو ما يشين الكلام و يبعد الأسلوب عن الطبع السمح السهل

2-جمال اللفظية و اختيارها : الفـاحص في كلام الرسول صلى الله عليه و سلم يجد أنه كان يختار ـأحسن الألفاظ وأجملها و ألـــطفها و أبـعدها عن الجفاء و الغلظة . و كان يكره أن يستعمل اللفظ الشريف المصون في حق من ليس كذلك و العكس .

و أمثلة هذا نهى الرسول أن يقول الرجل خبثت نـــــفسي و لكن ليقل لقست نفسي و معناها واحد أي عثت نفسي و ساء خلقها ، فكره له لفظ الخبـــث لـما فيه من القبح و أرشدهم الى استعمال الحسن و ترك القبح و إبداله بالحسن و من الأمثلة و الـــشواهد قال خطيب :" من يطع الله و رسوله فقد رشد و من يعصيهما فقد غوى " و قال له : " بـئس الخطيب أنت . و إنما كرهه من ذلك الجمع بيم الاسمين لما فيه من التسوية و من قولـــه :" لا تقولوا ما شاء الله و شاء فلان و إنما قولوا ما شاء الله ثم ما شاء فلان " فقال له رجل : ما شاء الله و شئت

(1): يحي بن شرف النووي أبو زكريا رياض الصالحين 658 ، دار ابن كثير ط1 .

(2): الألباني الترغيب و الترهيب 3/ 562 ، مكتبة دار المعارف القاهرة ط1 .

(3): وليد قصاب النظرة النبوية في نقد الشعر ، المكتبة الحديثة العين ط1 ص61 .

(4): استهل الصبي رفع صوته عند الولادة .

(5): يطل : أي لا تدفع ديته .

(6): نقد النثر ص 108 ، دار الكتب العلمية بيروت ط1 .

فقال جعلتني لله ندا ، قل : " ما شاء الله وحده " . (1)

3-الإيجاز: الواضح و المتمعن في النظرة النقدية للرسول صلى الله عـليه و سلم الإيجاز و عدم التزيد و التطويل و هذا شيء طبيعي لأن الله منحه كمال العقل و غـلبة فكره على لسنه فقل كلمه و تنزه عن الحشو و برئت نظراته النقدية من شوائب الإطالة .

كما سلف ذكر أعجب الرسول بقول لبيد : " ألا كل شيء ما خلا الله باطل "

لأنه بالإضافة إلى ما يحمـــله مـن معاني يتفق مع العقيدة الإسلامية فقد دل على هذا المعنى في عبارة وجيزة خالية من التكـلف و الـتقعر من شأنـــهما أن تشاع و تنتشر و كذلك قول طرفة الذي سبق ذكره .

المبحث الثاني : النقد الانطباعي عند الخلفاء الراشدين و المقاييس النقدية

المطلب الأول : النقد الانطباعي عند الخلفاء

1-النقد الانطباعي عند عمر بن الخطاب : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فطن ورع مثقف بطبعه فاستطاع أن يضع أسس نقدية تضيف جمالية للشعر على ضوء المبادئ الخلقية الإسلامية ، فقد كان يحب الشعر حبا شديدا و تعلق بمدارســـه و تذوقه و إبداء رأيه فيه . و من الأمثلة المعلومة الواضحة ما روى عبدا لله بن عباس أنه قـال: قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنشدني لأشعر شعرائكم ، قلت من هو يا أمير المؤمنين ؟ فقال زهير قلت و لما كان ذلك ؟ قال : كان لا يعاظل بين الكلام و لا يتتبع حواشـيه و لا يمدح الرجل إلا بما فيه . (2)

في هذا النموذج نجد أن عمر بن الخطاب كان موضوعيا فقد نظـر في الألفاظ و الأساليب و المعاني و وصف ألفاظ زهير بالسماحة و الألفة و أسلوبه بالوضـوح و الجمال و السلاسة و ترك التعقيد و البعد عن الإفراط و الغلو فقد كان وصفه فطـريا انـــــطباعيا اعتمد على ما جادت به ملكة عقله و لم يعتمد على أية أسس أو قواعد نقدية .

و بتعقيب الدكتور بدوي طبانة (3) يرى حادثة عمر و كلماتـه التي قالها هي أقدم النصوص

(1): ابن القيم زاد المعاد في الهدى خير العباد 2/ 9 ، المطبعة المصرية ط1 .

(2): ابن رشيق العمدة 1/ 98 ، دار السعادة القاهرة ط1 .

(3): بدوي طبانة دراسات في نقد الأدب العربي ، دار الثقافة للطباعة و النشر القاهرة ط1 ص 96 .

و بتعقيب الدكتور بدوي طبانة (1) يرى حادثة عمر و كلماتـه التي قالها هي أقدم النصوص التي وصلت إلينا من حيث الاعتماد على أسباب اختيار الشعـــر و تفضيل الشاعر ، و على الرغم من قدمها فقد وضعت مقاييس صالحة يقاس بها الشعر فقد تناولت أهم أركان الشعر ، أساليبه و معانيه و ضلت هذه الأركان تقيس نقد الأدب إلى يومنا هذا .

و يرى الأستاذ طه أحمد إبراهيم أن نقد عمر ظاهرة جديدة ، فـــهو حين قدم زهير كان نقده انطباعيا لكن ليس كما في العصر الجاهلي غير معلل بل علل و شـــــــرح تفضيله هذا بأن

زهير سهل العبارات لا تعقيد فيها ن و بعيد عن الغلو و الإفراط في الثناء . (2)

و منه نستطيع القول أن عمر بن الخطاب قد واءم بين الشكل و المضمون ، لأنه اعتمد على مبدئيين هاميين في صناعة الشعر :

1-الحذق في الصناعة الشعرية .

2-الصدق في الوصف .

و لسيدنا عمر مواقف كثـيرة في نقد الشعر و منها أيضا اعجابه و كثرة ترديده لشعر زهير و منها اخترنا هذا البيت :

*فَإِنَّ الحَقَ مَقْطَعُهُ ثَلَاثُ * يَمِيْنُ أَوْ نَفَارُ أَوْ جَلَاءُ (3)*

فقد تعجب بعلمه بالحقوق بقوله : " لو أدركت زهيرا لوليته القضاء لمعرفته " (4)

في هذا البيت مع أن زهـــير كان في بـيئة جاهلية كان على أتم العلم بدائرة الحق و اقتضاء الحقوق و المنافرة إلى حاكم يحكم بالعــدل أو الجلاء ببرهان واضح يجلو الحق لهذا أعجب الفاروق بفطنة زهير و ذكائه و من الأمــثلة أيضا ما أورده ابن قتيبة على شعراء غطفان : خرج عمر و ببابه وفد غطفان فقال : أي شعرائكم الذي يقول

*أَتَيْتُكَ عَارِيًا خَلْقًا ثِيَابِيْ * عَلَى خَوْفِيْ تَظُنُ بِيْ الظُنُوْنُ*

(1): بدوي طبانة دراسات في نقد الأدب العربي ، دار الثقافة للطباعة و النشر القاهرة ط1 ص 96 .

(2): طه أحمد إبراهيم تاريخ النقد عند العرب ، دار الحكمة بيروت ط1 ص 31 .

(3): الصناعتين 351 . ابن رشيق العمدة 1/ 55 ، دار السعادة القاهرة ط1 .

(4): المرجع السابق نفس الصفحة .

*فَأَلْفَيْتُ الأَمَانَةَ لَمْ تَخُنْهَا * كَذَلِكَ كَانَ نُوحُ لَا يَخُـــوْنُ*

قالوا : النابغة ، قال : فأي شعرائكم الذي يقول

*حَلِفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةَ * وَ لَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ*

قالوا: النابغة

قال : فأي شعرائكم الذي يقول

*فَإِنَكَ كَاللَّيْلِ الذَيْ هُوَ مُدْرِكِيْ * وَ إِنْ خَلَتْ إِنَ المُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ*

قالوا : النابغة

قال : هذا أشعر شعرائكم (1)

إذن نقف عند هذا النموذج فنـــجد في البيـــت الأول بيان قوي في النظرة الانطباعية النقدية لعمر بن الخطاب حيث برع النابغة في تصـــــوير حال المادح الخائف المعتذر فصوره أتيا عاريا غير مستتر و هذا تصوير يحرك في نفس الممدوح كل أنواع السماح و العطاء و من هذا نتفطن إلى حكم عمر له بأنه أشعر الشعراء حيث اعتمد عمر على الصدق في التصوير و العاطفة . (2)

و لذكرنا حادثة إعجاب عمر بن الخطاب بشـــعر النابغة و قبله زهير بن أبي سلمة نجد أنه وصف زهير ب(شاعر الشعراء) و النابغـــــة (أشعر الشعراء) يضـــــعنا هذا أمام زاويتين مختلفتين متعارضتين و لكن الحقيقة النقدية أنه ليس هناك تعارض نتيـــجة القاء الحكم على أساس من التأثر الوقتي و الانفعالي السريع و هذا إن دل فإنما يـــــدل على النقد الانطباعي فحسب .

و نذكر أيضا أن عمر بن الخطاب اعتمد في نقده على النظرة الدينيـــة الخلقية فقد كانت كل نظراته مستمدة من روح الإسلام و مصلحة العامة و هو بهذا يتبع منهـج صاحبه و رسولنا محمد صلى الله عليه و سلم و يتضح هذا المقياس الديني في هذا الشاهـد الذي نهى فيه عمر عن هجاء الناس و نهش أعراضهم كما كان من النجاشي الذي هجي بني العجلان .
فاستعدوا عمرا و قالوا له : يا أمير المؤمنين هجانا . فقال : و ما قال . فأنشدوا قوله :

---

(1): ابن قتيبة الشعر و الشعراء 1/ 164 – 165 ، دار المعارف القاهرة ط2 .

(2): سعد ظلام النقد الأدبي ، مكتبة زهراء الشروق ط1 ص36 .

*إِذَا اَللهَ عَادَى أَهْلُ لُؤمٍ وَ رَقَّةَ * وَ لَا يَظْلِمُونَ النَاسَ حَبَةَ خَرْدَلِ*

فقال عمر ليت آل الخطاب هكذا . قالوا و قد قال أيضا :

*تَعَافَ الكِلَابُ الضَارِيَاتْ لُحُوْمَهُمْ * وَ تَأْكُلُ مِنْ كَعْبٍ وَ عَوْفٍ وَ نَهْشَلِ*

فقال عمر : كفى ضياعا من تأكل الكلاب لحمه . قالوا فانه قال :

*وَ مَا سَمَى العِجْلَانِ إِلَا لَقِيْلَهُمْ * خُذْ القَعْبَ وَ اَحْلِبْ أَيُهَا العَبْدُ وَ أُعْجُلِ*

فقال عمر : حير القوم خادمهم و كلنا عبيد الله . ثم بعث إلى حسان الحطيئة و كان النجاشي محبوسا عندهم ، فسألهما فقال حسان مثل قوله في شعر الحطيئة ، فهـــدد عمر النجاشي و قال له : " إن عدت قطعت لسانك " (1)

و في هذا الشاهد يتضح لنا سعة أفق عمر و حسن إدراكه للمعاني و تفسيره كل بيت تفسير غير ما فهمه المهجوون ليخفف عنهم فقد كان نقد عمر في الصميم و عاكسهم في البيتين الأوليين فزعم لهم ما رواه هجاءا يمكن أن يعد مديحا و تمنى لو كانت بعض تلك الصفات في آل بيته .

2-النقد الانطباعي عند أبو بكر الصديق: أيضا أبا بكر الصديق كان ذواقا للشعر ناقدا له بطبعه و قد أثرت عليه بعض النظرات النقدية منها ما يتصل بنقد المعنى و توجيهه و ترشيده إلى الفطرة الإسلامية ، من ذلك ما يروي أن لبيد الشاعر المخضرم قام على أبي بكر رضي الله عنه فقال : ألا كل شيء ما خلى الله باطلا .

فقال أبو بكر : صدقت

فلما قال و كل نعيم لا محالة زائل

قال : كذبت ، عند الله نعيم لا يزول (2)

و في وصفه و حكمه للنابغة بين شعراء عصره يقول: " هو أحسنهم شعرا، و أعذبهم بحرا، و أبعدهم قعرا " (3)

---

(1): ابن قتيبة الشعر و الشعراء 1/ 337 – 338 ، دار المعارف القاهرة ط2 .

(2): المزرباني الموشح ، دار الكتب العلمية ط1 ص 74 .

(3): ابن رشيق العمدة 1/ 95 ، دار السعادة القاهرة ط1 .

و هنا نجد نظرة أبي بكر الانطباعية إلى الشعر فيها الإجمال و المعموم كعادة نقاد الشعر في عصره و استمرارية الفطرة النقدية العربية القديمة في النقد و النظرة الشعرية ، إلا أن في وثف أبي بكر الصديق للنابغة سمة مركزة ، فهو يحسب العمق سبب في المقارنة و المفاضلة فليست كل أحكام الصديق مبنية على المعاني السطحية مثل حسن الشعر و جمالية صورته و عذوبته بل انه ساير للغور ناقد للعمق فيلمس أثرا لفكر و العقل في المعنى و الصورة و هذا إن دل فإنما يدل على أثر القرآن الكريم في نفسية أبي بكر الصديق .

و في ذكرنا لصاحب رسول الله و موضوعنا الانطباعية النقدية نذكر قصة أبي بكر التي تتصل بالنقد الانطباعي اللغوي و من ذلك ما روى أن أبي بكر رضي الله عنه سأل رجلا يبيع الثياب فقال : أتبيعني هذا الثوب يا رجل ؟ قال الرجل : لا عفاك الله ففطن أبو بكر إلى هذا الاستعمال اللغوي الذي قرره البلاغيون فيما بعد في موضوع الفضل و الوصل حيث

أوجبوا الفضل بالواو في هذه المسألة لان " لا " تتضمن جملة خبرية مضمونها " لا أبيعك هذا الثوب " و الجملة الثانية دعائية و هي " عفاك الله " و هذا التعقيد اللغوي يرتبط بالمعنى ، إذ يحتمل أن يكون النفي منصبا على الجملة الدعائية فيكون الدعاء عليه لا له .

و قد أدرك أبو بكر ذلك قبل أن يضع البلاغيون قواعدهم و هذا سبب ذكرنا للقصة لأن الحس اللغوي كان قويا لديه . (1)

و هذا يدل على الانطباعية و الفطرة التي كانوا يمتلكونها فقد كان نقدهم دون قواعد و لا أسس و إنما بما تجود عليهم ملكتهم به و كيف يتذوقون تلك الأشعار .

3-النقد الانطباعي عند عثمان بن عفان " رضي الله عنه ":

سيدنا عثمان نكتفي بالقليل الموجز في ذكر نقده فقد كان رضي الله عنه على زهده و نسكه يتذوق الشعر بفطرته و ينظر فيه و ينقده مبينا و معللا لحكمه أنشد قول زهير :

*وَ مَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ اِمْرِئٍ مِنْ خَلِيْقَةٍ * وَ إِنْ خَالَهَا تُخْفَى عَلَى النَاسِ تُعْلَنِ*

أعجبه صواب معناها فقال : أحسن زهير و صدق ، فلو أن رجلا دخل بيتا في جوف الليل لتحدث به الناس . (2)

(1): محمد إبراهيم نصر النقد الأدبي ، دار اللواء الرياض ط1 ص 165 .

(2): ابن رشيق العمدة 1/ 41 ، دار السعادة القاهرة ط1 .

4-النقد الانطباعي عند علي بن أبي طالب " رضي الله عنه " :

منح الله سيدنا عليا بن أبي طالب موهبة قوية تهديه إلى التذوق و التمـــــــعن و تعينه على التقدير و التقويم و كان صاحب ذوق فطريي مصفى هداه لإدراك الجمال الفـــني و معرفة سبله و أسبابه و معانيه مما أدى إلى ظهور بعض النظرات النقدية في تراثـه الأدبي و كانت محل إعجاب و تقدير من النقاد العرب .

و مما سلف ذكره نذكر ما رواه ابن رشيق أن عليا كان يقول :" الشعر ميــزان القول " (1)

و هذا يضعنا أمام نظرة نقدية للإمام علي رضي الله عنه الذي كان يزن الشـــاعر بما يميزه من فكر و رأي و ما يصدر عنه من عبارات و كان يقول :" قيمة كل امرئ مـــــا يحسنه ، وعد حسن القول بما يحمل من معنى راق و فكر دقيق و أسلوب فصيح " (2).

يقول العقاد :" إن نقد عـلي للشـعراء كان نقد عليم بصير ، يعرف اختلاف مذاهب القول و اختلاف وجوه المقابل و التفضيل على حسب المذاهب " (3)

و الذي يؤكد كلام العقاد ما ورد عـن الإمام علي أن ميزان المفاضلة بين شاعر و شاعر لا يجوز إلا بين المتعاصرين يقول : " لـو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد و نصبت لهم راية فجروا معا علمنا من السابق منهم و إذ لم يكن فالذي لم يقل لرغبة ولا رهبة . فقيل و من هو فقال : الكندي قيل : و لم ؟ قـال : لأني رأيته أحسنهم نادرة و أسبقهم بادرة ". (4)

و من هذا الكلام نفهم معنى التفاضل عنـــد سيدنا علي ، فالتفاضل لا يجري إلا بين الشعراء المتعارضين ، و كأنه هنا يشترط وحدة الـــموضوع الشعري للمتسابقين من الشعراء و بهذا يضع للمفاضلة شرطين . المعاصرة و وحدة الموضوع .

و هذه رؤية الصحابة الكرام – أبو بكر – عمر – عثمان – علي – رضوان الله عليهم حتى و إن كانت انطباعية فقد أسسوا نقدا ممنهجا اعـــتمد من جـاء بعدهم عليه و هم اعتمدوا في نقدهم الانطباعي على فطرته و روحهم الطاهرة الذواقة ، و اعـــتمدوا على محمد صلى الله عليه و سلم الذي وجههم في هذا المجال بما وافق الشريعة و حمـــــل القيم و الأخلاق فهو

---

(1): ابن رشيق العمدة 1/ 28 ، دار السعادة القاهرة ط1 .

(2): رفعت زكي محمود من مظاهر النقد الأدبي عند العرب ، دار الثقافة بيروت ط2 ص 83 .

(3): العقاد عبقرية الإمام ، دار المعارف ط1 ص 149.

(4): نفس المرجع و الصفحة .

حسن و جيد و ما خالفها و جاء على مساوئ الناس و كان هجاءا لاذعا فـــــهو مستهجن و سيء .

المطلب الثاني : المقاييس النقدية الانطباعية في عصر صدر الإسلام

1-الالتزام بمبادئ الدين و الخلق :

صدر الإسلام أو نقول فجر الإســـلام وجه هذا الدين الجديد الشعراء و الأدباء إلى ضرورة الالتزام بالأفكار و الاتجاهات التي تـلاءم الروح الجديدة ألا و هي الأخلاق و حسن المعاملة و بهذا يهدفان إلى غاية واحدة ، هي صـــلاح العقيدة و صلاح المجتمع ، و تحصيل أسباب السعادة في الدنيا و الآخرة . و هذا المقياس فــوق كونه مقياسا دينيا خلقيا ، فانه مقياس فني دقيق لأن الصدق الفني هو سبيل الجمال في الفنون جميعا . و عليه يتركب على هذا نظرية الفن للفن افتراض مرفوض في الفكر الإسلامي ، و بالـــتالي في الأدب العربي ، الذي هو ثمرة هذا الفكر و وليدة الأصل و هو ما يسمى في القرآن و أنـــــهم يقولون ما لا يفعلون و يأتي الالتزام الأخلاقي في الفن في عبارة القرآن إلا الذين آمنوا و عـــــــملوا الصالحات .

و ظهر جليا هذا المقياس في تعليقات الرسول صلى الله عليه و سلم على لـــــبيد و طرفة و النابغة الجعدي ، و تعليق أبي بكر على لبيد ، و تعليق عمر على زهير و في تـقديره لشعر سحيم عبد بني الحسحاس .و على هذا يمكن القول أن النقد انطباعي طبع ب طابـــــع ديني يتمثل في دعمه للعقيدة و رعاية الأخلاق الإسلامية و كان هذا الطابع مقياسا جد هـام للأدب العربي و نقده .

2-الموضوعية :

كان هذا المقياس نقديا انطباعيا واضحا عند بعض نقاد هذا العصر و يعتمد على نقد اللفظ و المعنى و الأسلوب و المنهج و الغرض و تحقيق السماحة في اللفظ و السلاسة و الــخلو من التعقيد و التوعر و التقعر في التعبير و الالتزام بالأسلوب و الصدق و صحة المعنـــــى ، و الحق و الاعتدال و التباعد عن الإفراط و الغلو في منهجه و تفضيل الإبداع و الاختـراع في صوره و معانيه ، حتى أصبحت هذه النظرات و المذاهب رائدة لتطور النقد الأدبـــــي ، و قيامه على أسباب الموضوعية مفصلة و أصول المنهجية واضحة .

و من الأمثلة التي سلف ذكرها نختار نموذج نقد عمر لزهير فـــــقد كان نقدا مـــوضوعيا واضحا .

3-وضع الأسس النقدية الانطباعية للموازنات الأدبية :

وضع علي بن أبي طالب أسسا هامة للموازنات الشعرية و هذه الأسس تعتمد على التفاضل بين الشعراء إلا إذا جمعهم زمان واحد و غاية واحدة و مذهب واحد في القول .

فان تساووا في ذلك كله فأجودهم الذي لم يقل عن رغبة و لا رهبة و كــان أصحهم بادرة و أجودهم نادرة .

الفصل الثالث

الانطباعية فى عصر بنى أمية

المبحث الأول: الأحكام النقدية الانطباعية في عصر بني أمية

المطلب 1: النقد الانطباعية في مجالس الحكام و الولاة

المطلب 2: النقد الانطباعي في مجالس الفقهاء و العلماء

المبحث الثانى : المفاضلة بين الشعراء و البيئات النقدية و اتجاهاتها في عصر بني أمية

المطلب 1: المفاضلة بين الشعراء

المطلب 2: البيئات النقدية و اتجاهاتها

كثيرا ما يتفق الدارسون على أن هذا العصر مكمل لعصر صدر الإسلام ، سواء من الناحية التاريخية أو الأدبـــية ، و إن كانت دراستنا هذه تعني الجانب النقدي الانطباعي ، فانه من الصعوبة أن نميز بين عصر و آخر ، و ذلك أنه للأدب قيمته الإنسانية الحية النامية التي لا تعرف فواصل الزمـــــان و لا هـــوية المكان ، و لا ريب لدينا أن النقد الأدبي و خاصة الانطباعي قد تطور في هذا العصر عـما كان عليه في العصور التي تليه فضلا عن التغيير السياسي العام الذي شهده هذا العصر فـــقد عـاد الشعر إلى حياته الأولى و ازدادت أبوابه اتساعا و أغراضه تنوعا و افتنانا، و جادت معـــانيه ، و تهـذبت ألفاظه بعامل المنافسة و تأثير الأسلوب القرآني الذي أخذ الشعراء ينظرون فيه و يحاول أن يحتذي به .(1)

و لهذا وجب علينا أن نتابع الانطباعية في النقد في هذا العـصر آخذين بالحسبان تعدد بيئاته و موضوعاته و اختلافها و ما لذلك من أثر فعال فيه ، أما تـــعدد بيئاته فقد اختلف الشعر و نقده من الحجاز إلى الشام إلى العراق و منه وجب علينا القـــول أن النقد لم يكن يخلوا من أحكام نقدية انطباعية مع أنه ظل في بعض نواحيه امتدادا لدعـــوة الالتزام ، و أنه كان في بعض نواحيه حريصا على جمال التصوير ، و أنه كان كذلك حـــــريصا على ترسيم تقاليد الشعراء الأقدمين ، في الوقت نفسه كثر تعليل الأحكام في عصر بنـــي أمية و قد كان مرجع هذا التعليل الروح العربية و النظرة السليمة و التذوق الشعري الخـالص و الانطباعية . (2)

و قد نشطت الحركة الأدبية في العصر الأموي و علت منزلة الشـــــعر و قائليه ، فقد كانت مجالس الخلفاء و الولاة منتديات أدبية انتشرت فيها القصائد ، و أنشـــــدت فيها الأشعار ، و تبارى فيها الرواة لذكر النادر أو الغريب من شعر أو رواية ، و كان الخـــــــلفاء يجزلون العطاء مشجعين على ذلك فصار للرواة مجالس نقدية لها مكانة مرموقة ، و في ذلك العصر ظهر شعراء فحول من صميم أعراب البادية يتقدمهم الأخطل و فرزدق و جرير من شعراء بوادي العراق ، و لطالما امتازت العراق ببداويتها التي لا شك في أنها سيطـرت على هؤلاء الشعراء و روحهم و مجتمعهم التي تشبه إلى حد كبير حياة ما قبل الإسلام في المفاخرات و المهاجيات و العصبيات مما جعل الشعر في العصر الأموي يقترب من شعر ما قبل الإسلام إن لم يكن تكرار له فإذا كان سوق عكاظ في العصر الجاهلي فقد نشأ المربـد في البصرة و هذا السوق الذي ساهم في ازدهار فن النقائض الذي شاع في هذا العصر و كـــــان الثالوث

(1): بدوي طبانة دراسات في نقد الأدب العربي 1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ط1 ص108 .

(2): بيئات نقد الشعر عند العرب من الجاهلية إلى العصر الحديث ، دار المعرفة الإسكندرية ط2 .

جرير فرزدق الأخطل هو المؤسس الرئيسي له .

و لا ريب لنا أن تـــولد النهضة الشـــعرية الكبيرة في العراق نقدا أدبيا انطباعيا تذوقته كل الطوائف من عام و خاص ، أما مجالـــس الخلافة في الأدبية و النقدية شجعت على ظهور حركة شعرية و نقدية خصبة ، حيث كانت مجالـــــسهم مظهرا مهما من مظاهر احتفاظهم بخصائص عروبتهم و أهم هذه الخصائص حبهم للشعر و ولوعهم بسحر البيان ، و درايتهم بتذوقه ، و قدرتهم على نقده ، و تحسس جوانب الجمال فـــيه ، و تعرفهم أسباب ضعفه أو رداءته بفطرتهم السليمة و حسهم المرهف أي نقد انطباعيا . (1)

(1): بدوي طبانة دراسات في نقد الأدب ، مكتبة الأنجلو القاهرة ط1 ص15 .

المبحث الأول: بعض الأحكام النقدية الانطباعية في عصر بني أمية

المطلب الأول: النقد الانطباعي في مجالس الخلفاء و ولاتهم

من حسنات الشعر في العصر الأموي أن يواكب المسير و يواصل صلته بالشعر العربي في العصرين السابقين . فقد ظل يكتب مشروعية و جوده و فعاليته بشكل ملموس بدء من رأس الدولة ، قال معاوية بن أبي سفيان: " يجب إلى الرجل تعليم ولده ، و الشعر أعلى مراتب الأدب " (1) آمرا باختيار عدد من القصائد لتعليم ابنه فانتخب له الرواة اثنتي عشرة قصيدة ، فيما اختار عبد الملك بن مروان بنفسه القصائد لولد و هي (آلاهبي بضحك فأصبحينا) العمرو ابن كلثوم و (آذنتنا بينها أسماء) للحارث بن حلزة و (بسطت رابعة حبل لنا) لسويد بن أبي كاهل و (آمن المنون و ربيبها تتوجع) لأبي ذويب الهذلي ، و (أ إن تبدلت من أهلها وحوش) لعبيد بن الأبرص ، و(يا دار عبلة بالجوار تكلمي) لعنترة ثم ارتج على عبد الملك و هو يختارها فدخل عليه ابنه سليمان و هو يومئذ غلام فأنشد قصيدة أوس بن مغراء (محمد خير من يمشي على قدم) فقال عبد الملك و تعصب لها (مغروها) أي أدخلوها قصيدة ابن مغراء ، فيها و منها هذا المنطق فقد حاول الخلفاء سحب نموذجية القصيدة القديمة الى العصر لتأسس صورة الوعي بالشعر على غرار النمط القديم لغاية ، و مع العلم أن اختيار القصائد لمعاوية و عبد الملك بن مروان اعتمد على الفطرة و الانطباعية و لم يخضع لأية قواعد أو أسس نقدية .

و لعل سر عدم التغيير الكبير في الشعر الأموي أنه صار يلبي طموح الحاضر – الماضي أكثر من طموح الحاضر – المستقبل أي أنه تحول تحت رغبة العودة الى تاريخية الانجازات الشعرية . نحو الماضي و ظللت معاناته في استكشاف خصوصيته و التعبير عنها باتجاه تجديدي مستقبلي محدود . (2)

و قد جاء في كتاب الأغاني أن عبد الرحمان بن حسان بن ثابت شبب بأخت معاوية فغضب يزيد فدخل على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين اقتل عبد الرحمان بن حسان قال : و لم ؟ قال : شبب بعمتي . قال: و ما قال ؟ فال : قال

*طَالَ لَيْلِيْ وَ بِتُ كَالمَحْزُوْنِيْ * وَ مَلَلْتُ الثَوَاءَ فِي جَيْرُونِ*

قال معاوية : يا بني و ما علينا من طول ليله و حزنه أبعده الله .

---

(1): ابن رشيق العمدة 1/ 29 ، دار السعادة القاهرة ط1 .

(2): محمد ابن المثنى كتاب النقائض جرير و الفرزدق 1/ 211 – 213 ، دار الكتب العلمية ط1.

قال: انه يقول :

*فَلِذَلِكَ اِقْتَرَبْتُ بِالشَامِ حَتَى * ظَنَ أَهْلِي مُرْجَمَاتُ الظُنُوْنِ*

فقال : صدق يا بني . قال: انه يقول :

*وَ إِذَا مَا نَسَبْتُهَا لَمْ تَجِدْهَا * فِي نِسَاءٍ مِنْ المَكَارِمِ دُونِ* (1)

قال : صدق يا بني هي هكذا قال : انه يقول

*ثُمَ حَاصَرْتُهَا إِلَى القُبَةِ الخَضْرَاءِ * بَرَاءُ تُحْشِيْ فِي مَرْمَرِ مَنُوْنِ*

قال: و لا كل هذا يا بني ثم ضحك و قال : أنشدني ما قال : فأنشده بقية الأبيات .

فقال معاوية : " يا بني ليس يجب القتل في هذا و العقوبة دون القتل و لكن أن يمنع شعراء الغزل نكفه بالصلة و التجاوز " فمعاوية كما يبدو مركا لطبيعة الأمور فكان يحاول أن يمنع شعراء الغزل بالخديعة و المراوغة من الاستمرارية في أقوالهم الماضية التي تضر بسمعة الحكم و هيبته . (2)

و يروى أيضا أن أبا دهبل الجمحي تغزل بعاتكة بنت معاوية بأبيات شعرية و قد بلغ ذلك معاوية ، فدخل عليه يزيد و وجده مغرقا ، فقال : يا أمير المؤمنين ما هذا الأمر الذي شجاك ، فقال أمرضني ما كتبه أبو دهبل من أبيات لأختك عاكتة .

فقال يا أمير المؤمنين انه قال قصيدة أخرى تناشدها أهل مكة و سارت حتى بلغتني و أوجعتني و حملتني على ما أشرت به فيه و ما هي قال ؟ قال قال :

*أَلَا لَا تَقُلْ مَهْلَا فَقَدْ ذَهَبَ المُهِلُ * وَ مَا كُلُ مَنْ يَحِنُ مُحِّبَا لَهُ عَقْلُ*

*لَقَدْ كَانَ فِي حَوْلَيْنِ حَالًا وَ لَمْ أَزُرْ * هُوَ أَتِيْ وَ إِنْ خِفْتُ عَنْ حُبِهَا شَغَلُ*

*حِمَى المَلِكِ الجَبَارِ عَنِي لِقَاءَهَا * فَمِنْ دُونِهَا تَخْشَى المَتَالِفُ وَ القَتْلُ*

*فَلاَ خَيْرَ فِي حُبٍ يَخَافُ وَ بَالُهُ * وَ لَا فِي حَبِيْبٍ يَكُوْنُ لَهُ وَصْلُ*

*فَوَا كَبِدِيْ أَنِي شَهَرْتُ بِحُبِهَا * وَ لَمْ يَكُنْ فِيْمَا بَيْنَنَا سَاعَةُ بَدَلُ*

---

(1): أبي فرج الأصفهاني الأغاني 15/ 109 – 13 ، دار الكتب القاهرة ط1.

(2): داود سلوم الشعر الإسلامي تحت سلطة الخلافة ، بيروت ط2 ص90 .

*وَ يَا عَجَبَا أَنِي أُكَاتِمُ حُبَـــــــــهَا * وَ قَدْ شَاعَ حَتَى قَطَعْتُ دُوْنَهَا السُبُلُ*

فقال معاوية : قد والله رفهت عني فما كنت آمن أنه قد وصل إليها فـأما الآن و هو يشكو انه لم يكن بينهما وصل و لا بذل فالخطب فيه يسير . (1)

و من هـذا الشاهد و انطباعية معاوية في نقده حيث ارتاح عنده سماعه هذه الأبيات نرى أن للشعر أهمية جد كبيرة حيث يطرب الانسان أو يشجن منه و من موضوعاته .

و يروى أن الأخـــطل وفد على معاوية و بادره القول: إني امتدحتك بأبيات فاسمعها فأجابه معاوية : ان كنت شـــبهتني بالحية أو الأسد أو الصقر فلا حاجة لي بها و ان كنت قلت كما قالت الخنساء :

*وَ مَا بَلَغْتُ كَفَ اِمْرِئٍ مُتَـــــنَاوِلَ * بِهَا المَجْدُ أَلَا حَيْثُمَا نِلْتُ أَطْوَلُ*

*وَ مَا بَلَغَ المُهْدُوْنُ فِي القَوْلِ مَرْحَـةُ * وَ أَنْ صَدَقُواْ أَلَا الذِيْ فِيْكَ أَفْضَلُ*

فهات : فقال الأخطـل : والله لقد أحسنت و قد قلت فيك بيتين ما هما بدون ما سمعته فأنشد :

*إِذَا مِتُ مَاتَ الجُوْدُ وَ اِنْقَطَعَ النَدَى * وَ لَمْ يَبْقَى اِلَا قَلِيْلُ مُـــصْرَدِ*

*وَرَدَتْ أَكَفُ السَائِلِيْنَ وَ أَمْسَكُـــواْ * مِنَ الدِيْنِ وَ الدُنْيَا بِخِلْفِ مَجْدِ*

فقال معاوية (ما زادني علي أن نعيت إلي نفسي) (2)

فمعاوية عمد بطبعه إلـى توجيه الأخطل في تضمين شعره صفات معنوية جاعلا من معاني شعر الخنساء في رثاء أخـــيها مثالا يحتذيه من يريد أن يقول شعرا في المديح فتلك إشارة مبكرة للموازنة في نعاني الشـــعر .كان معاوية داهية زمانه و ناقدا بفطرته السليمة و عقله الراجح و كان غير محب و غير مشجع على التشبب و الهجاء و نهى عنهما بدليل قوله لعبد الرحمان بن الحكم " يا ابن أخـــــي إنك شهرت بالشعر فإياك و التشبب بالنساء فإنك تغر الشريفة في قومها ، و العفيفة في نفـــــــسها ، و الهجاء فانك لا تعدو أن تعادي كريما أو تستشير به لئيما ، و لكن افخر بمآثر قومـك ، و قل من الأمثال ما توقر به نفسك و تؤدب به

(1): أبي فرج الأصفهاني الأغاني 8/ 140 – دار الكتب القاهرة 141 و الأبيات في ديوان أبي دهبل 99 – 100 .

(2): إبراهيم ابن علي زهر الأدباء 2/ 994 ، دار الجيل للنشر ط4.

تستشير به لئيما ، و لكن افخر بمآثر قومك ، و قل من الأمثال ما توقر به نفسك و تؤدب به غيرك " (1).

أما مجلس الخليفة عبد الملك بن مروان يعد من المجالس الأدبية و النقدية الانطباعية التي لا يستطيع أحد إغفالها ، و قد أسست على قـــدرة أدبية ذوقية انطباعية ، و كان لا يكتفي من الشعر بالرواية و النقد ، و انما يتبع منابع الشعر في القبائل و البيئات العربية و كان مجلسه أشـــبه بمنتدى أدبي أو مدرسة خاصة للشعر و النقد . (2)و من الشواهد للانطباعية النقدية نذكر أن جـــرير و الفرزدق اجتمعوا في مجلس عبد الملك بن مروان حيث تناشدوا شعرا فقال الفرزدق إن لـــم أقل بيتا لا يستطيع ابن المراغة أن ينقضه و لا يجد في الزيادة عليه مذهبا فقال عبد الملك ما هو ؟ قال :

*فَأَنِـيْ أَنَا المَوْتُ الذَيْ هُوَ وَاقِعُ * بِنَفْسِكَ فَأُنْظُرُ كَيْفَ أَنْتَ مُزَاوِلُهُ*

*وَ مَا أَحَدٌ يَا اِبنَ الأَتَانِ بِوَائِـلٍ * مِنَ المَوْتِ لَا شَكَ أَنَ المَوْتَ نَائِلُهُ*

فا طرق جرير قليـــلا ، ثم قال : أم حرزة طالق مني ثالثا ان لم أكن نقضته و زدت عليه ! فقال عبد الملك : هات ! فلقد طلق أحدكما لا محالة . فأنشد :

*أَنَا البَدْرُ يَغْشَى طَرْفَ عَيْنَيْكَ فَالْتَمِسْ * يَكْفِيْكَ يَا اِبْنَ القَيْنِ هَلْ كُنْتَ نَائِلُهُ*

*أَنَا الدَهْرُ يُفْنِـيْ المَوْتَ، وَ الدَهْرُ خَالِدُ * فَجِئْنِـيْ بِمِثْلِ الدَهْرِ شَيْئًا يُطَاوِلُـــهُ*

فقال عبد الملك فضلك يا أبا فراس ، و طلق عليك . (3) فعبد الملك هنا انتصر لجرير و ما كان انتقاده للفرزدق و انـتصاره لجرير الا نقدا فطريا انطباعيا تبع ملكة عقله في التمييز و الفصل بين الشاعرين .و يـــروى أن جرير و الفرزدق و الأخطل اجتمعوا في مجلس لعبد الملك و أحضر لهم كيسا فيه خـــمسمائة دينار و قال لهم : ليقل كل واحد فيكم بيتا في مدح نفسه ، فأيكم غلب فله الكيس ، فبدر الفرزدق فقال :

*أَنَا القَطْرَانُ وَ الشُعَرَاءُ جَرْبَى * وَ فِي القَطْرَانِ لِلْجَرْبَى شِفَاءُ*

و قال الأخطل :

(1): ابن عبد ربه العقد الفريد 5/ 281 ، دار الكتب العلمية القاهرة ط1.

(2): إحسان عباس تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار الثقافة بيروت ط3 ص213 .

(3): ابن قتيبة الشعر و الشعراء 1/ 284 ، دار المعارف القاهرة ط2 .

*فَأَنْ تَكُ زَقْ زَامَلَةَ فَأَنِـــــــــيْ * أَنَا الطَّاعُوْنُ لَيْسَ لَـــهُ دَوَاءُ*

و قال جرير :

*أَنَا المَوْتُ الذِيْ أَتَى عَلَيْكُـــمْ * فَلَيْسَ لِهَارِبٍ مِنْهُ نَـــجَـــاءُ*

فقال الملك خذ الكيس ، فلعمري أن الموت يأتي على كل شيء (1)

و الحق أن ذوق عبد الملك كان متميزا و نقده كان انطباعيا فقد كان ناقدا فذا و صاحب حس مرهـــف و مدركا للقيم الجمالية ، و لا ريب له أن القطران و الطاعون يؤديان الى النفور فالشاعران لم يوفقا في تشبيههما بذلك ، أما جرير فقد صور نفسه بأعلى الدرجات حين شبه نفسه بالموت فأرضى الخليفة و نال الجائزة و الخليفة وثق في حكمه و نقد الانطباعي .

و أيضـا يذكر أن للحجاج ملاحـــظات نقدية انطباعية كان لها شأن لا يقل عن سابقيه ، من ذلك ما يروى في اجتماع مجلـــــسه و كان فيه الفرزدق و جرير فقال الحجاج ابن يوسف الثقفي :" أيكما يمدحني ببيت فضل فهذه الجارية له ".

فقال الفرزدق :

*فَمَنْ يَأْمَنْ الحَجَاجَ وَ الطَّيْرُ تَتَقِيْ * عُقُوْبَتَهُ إِلَا ضَعِيْفِ العَزَائِمِ*

و قال جرير :

*وَ مَنْ يَأْمَنْ الحَجَاجَ أَمَا عِقَابَـــهُ * فَمُرْ وَ أَمَا عَقْدُهُ فَوَثِيـــقُ*

فقال :" الحجاج و الطير تتقي عقوبته كلام لا خير فيه ، لأن الطير تتقي كل شيء الثوب و الصبي و غير ذلك فخذها يا جرير " . (2)

فنقد الحجاج كان نقدا انطباعيا مع أنـــه لم يوفق فيما ذهب إليه ، لأن الشاعر كان قصده أن الطير و هي في السماء تخشى الحجاج مـــن قوته و بطشه و جبروته غير أن الحجاج فهم معنى آخر و في الواقع أنه فهمه بمعنى آخر ضعيف و غير مرغوب فيه .

(1): عتيق تاريخ الأدب عند العرب ، دار النهضة العربية ط2 ص210 .

(2): عتيق تاريخ الأدب عند العرب ، دار النهضة العربية بيروت ط2 ص 144 .

المطلب الثاني: النقد الانطباعي في مجالس الفقهاء و العلماء و الأشراف .

*بقيت الحجاز موئلا للعـــــــلم و لاسيما بعد أن استقرت الخلافة الأموية في الشام و كانت معارضتها في العراق ، إذ احتـفظت الحجاز بكونها المركز الديني لملتقى الحجيج ، و بذلك كانت نقطة التقاء الخلفاء و الولاة و الأمـــــــراء و العامة و الشعراء و الأشراف ، فكانت المجالس الأدبية التي تفصح عن أدب رفيع و فـن راق يعرض من أخبار الرسول صلى الله عليه و سلم و أخبار العرب و أيامهم ، و تاريـخ الأولين و مجالات العلم و الحرب و الفنون في دقة و ذوق رفيع ، و قد أخذ النقد الأدبي يـــشق طريقه في بيئة الحجاز نحو أفاق جديدة بلورت الخط الصحيح الذي سار فيه النقاد فيما بعد . (1)

و لقد ركزنا في هذا المطلب على تتبع الانطباعـــــية في النقد العربي في مجالس الخلفاء و الفقهاء و العلماء في الحجاز لمكانتها الدينية ، و كونـــــــها البـــــيئة الوحيدة للقاء المجتمع الإسلامي و العربي بأكمله .

و سنبدأ بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال " إذا قرأتم شـــــيئا في كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب فإن الشعر ديوان العرب " (2) .

و هذا إن دل فإنما يدل على معرفة تامة بأهمية الشعر و أثره عند العرب و يقول ابن عباس أيضا " إذا تعاجم شيء في القرآن فانظروا في الشعر فإن الشعر عربي " (3) .

فقد كان الشعر و نقده ذا أهمية لدى العرب و كان يحفز المتلـــقي على فعل شيء و قد ينهاه على فعل شيء أخر من ذلك ما قيل في شعر عمر ابن أبي ربيـــعة ، إذ ورد في الأغاني أن ابن جريح قال :" ما ظننت أن الله عز و جل ينفع أحدا بشعر عمـــر ابـــن أبي ربيعة حتى سمعت و أنا باليمن منشدا ينشد قوله :

*بِاَللهِ قُوْلِيْ لَهُ فِي غَيْرِ مَـــــعْتَبَةٍ * مَاذَا أَرَدْتُ بِطُوْلِ الـمَكْثِ فِي اليَمَنِ*

*إِنْ كُنْتَ حَاوَلْتَ دُنْيَا أَوْ نَعُمْتَ بِهَا * فَمَاذَا أَخَذْتَ فْي تَرْكِ الحَجِ مِنْ ثَمَنِ*

فحركني ذلك على الرجوع إلى مكة فخرجت مع الحجاج و حججت " (4) .

---

(1): عتيق تاريخ الأدب عند العرب ، دار النهضة العربية بيروت ط2 ص210 .

(2): ابن رشيق العمدة 1/ 202 ، دار السعادة القاهرة ط1 .

(3): محمد بن عبدالله الحاكم المستدرك على الصحيحين 542/2 ، دار الكتب العلمية ط2 .

(4): أبي فرج الأصفهاني الأغاني 1/ 120 ، دار الكتب القاهرة. ط1

و نذكر أيضا من ناقد هذا العـــــــصر ابن أبي عتيق و قد كانت له مواقف نقدية انطباعية كثيرة مع الشعراء و نذكر منها أنه حينما أنشده نصيب بقوله :

*وَكِدْتَ وَ لَمْ أَخْلُقْ مِنَ الطَّيْرِ أَنْ بَدَا * لَهَا بَارِقُ نَحْوَ الحِجَازِ أَطِيرُ*

فقال له أبي عتيق قل : غاق فإنك تطــير يعني غراب أسود فإن ابن أبي عتيق يرى في هذا البيت مبالغة و إفراط و بعدا عن التصـــــديق و ما كان نقده له إلى انطباعيا ذو فطرة . (1)

و يروى له أيضا أنه لقي قيس بن ذريح يومـا فقال له : أنشدني أحر ما قلت في ليلى فأنشده:

*وَ إِنِي لَأَهَوَ النَوْمَ فِي غَيْرِ حِيْنِهِ * لَعَلَ لِقَاءَ فِي المَنَامِ يَكُوْنُ*

*تُحَدِثُنِيْ الأَيَامُ أَنِيْ أَرَاكُـــــــمْ * فَيَا لَيْتَ أَحْلَامَ المَنَامِ يَقِيْنُ*

فقال له ابن أبي عتيق : لقل ما رضيت منها يا قيس قال : ذلك جهد المقل . (2)

و يروى أن ابن أبي ربيعة أنشد مرة قوله :

*بَيْنَمَا يَنْعَتُنِنِيْ أَبْصَرَنَـــــنِيْ * دُوْنَ قَيْدِ المَيْلِ يُعَذِبُوْنِيْ الأَغَرُ*

*قَالَتْ الكُبْرَى أَتَعْرِفُنَ الفَتَى؟ * قَالَتْ الوِسْطَى نَعَمْ هَذَا عَمْـــرُ*

*قَالَتْ الصُغْرَى وَ قَدْ تَيَمْتُهَـــا * قَدْ عَرَفْنَاهُ وَ هَلْ يَخْفَى القَمَـرُ*

فقال له بن أبي عتيق أنت لم تنسب بها و إنمـــا نسيت بنفسك أكان ينبغي أن تقول لها فقالت لي ، فوضعت خدي فوطأت عليه . (3)

فان ابن أبي عتيق برى في تشبب عمر خروجـــا عن المألوف فالشاعر واقع في حب نفسه من حيث لا يدري ، فاتجاه الغزل الطبيعي في نظـر ابن أبي عتيق هي ما ظهرت المرأة في صورة من تتصنع الرجل و تتأبى الرجل في صـــــورة من يتودد إليها و يتذلل و هذا ما لم يصل إليه شاعر الغزل ابن أبي ربيعة ، فنقد ابن أبـي عتيق كان انطباعيا و واضح في عقله شعر القدماء الذي اتخذه مثالا و منهجا .

---

(1): أبي فرج الأصفهاني الأغاني 1/ 164 ، دار الكتب القاهرة ط1 .

(2): نفس المرجع 9/ 213 .

(3): أبي فرج الأصفهاني الأغاني 1/ 24 ، دار الكتب القاهرة ط1 .

و نخلص من هذا أن ابن أبي عتيق ناقد متمكن و أول من فطن إلى مقياس النقد و استخدمه في نقد الشعر و لعل رأيــه في شعر عمر بن أبي ربيعة من أهم ما يجب أن نذكره و لاسيما ما يدخل منه في المفاضــلات الشعرية و لعل أهمها ما أورده لنا أبو فرج الأصفهاني إذ قال " ذكر شعر الحارث بن خـالد و عمر بن أبي ربيعة عند ابن أبي عتيق مجلس رجل من ولد خال ابن العاص ابن هشـــام ، فقال المتحدث صاحبنا – الحارث بن خالد – أشعارهما فقال ابن أبي عتيق : بعض قولك يا ابـــــن أخي الشعر عمر بن أبي ربيعة نوطه في القلب ، و علوق بالنفس ، و درك للحاجة ليست للشـــــعر و ما عصي الله جل و عز بشعر أكثر مما عصي بشعر ابن أبي ربيعة ، فخذ عني ما أصف لك : أشعر قريش من دق معناه ، و لطف مدخله ، و سهل مخرجه و متن حشوه ، و تعطـفت حواشيه ، و أنارت معانيه و أعرب عن حاجته " (1)

لقد كان ابن أبي عتيق في هذا النص ناقدا فذا و كـــــان مستوعبا أسباب حسن الكلام إذ لم يقتصر كلامه على المعاني ، و إنما قرن بها الألفاظ الـــتي تعرب عن المضمون و تحسن الكشف عن ما يراد بها لتكون أداة الشعار الأمينة ، تـنقل في صدق و جلاء حسن و تأثير ما في نفسه من فكر و عاطفة و انفعال ، إذ نجد أن ابن أبي عـــتيق كان ناقدا فذا بطبعه يميز بين الحسن و الرديء في الشكل و المضمون و المعاني .و في مطـلبنا هذا لا بد لنا التطرق لهذا النص النقدي في العصر الأموي لمصعب بن عبدالله الزبيري فـــي شعر عمر بن أبي ربيعة إذ قال مصعب " راق عمر بن أبي ربيعة الناس ، و فاق نظرائـــه و يرعهم بسهولة الشعر ، و شدة الأسر ، و حسن الوصف ، و دقة المعنى و صواب الصـــــدر ، و القصد للحاجة ، و استنطاق الربع ، و إنطاق القلب ، و حسن العزاء ، و عفة المقـــــال ، و قلة الانتقال ، و إثبات الحجة ، و ترجيح الشك في موضع اليقين ، و طلاوة الاعتـــذار، و فتح الغزل و نهج العلل ... و حسن التفجع ، و بخل المنازل و اختصار الخبر و صدق الصفاء ، إن قدح أورى ، و إن اعتذر أبرا ، وإن تشكى أشجى ، و أقدم عن خبرة ، و لـم يعتذر بغره ، و أسر النوم ، و غم الطير ، و أغنى السير ، و حير ماء الشباب و سهل و قول ، و قاسى الهوى فأربى ، و عصى و أسر ، و بطن به و أظهر و ألحى و أسف ، و أنكـــح النوم ، و جنى الحديث و ضرب ظهره لبطنه و أذل صعبه ، و قنع بالرجاء من الوفـاء ، و أعلن قاتله و استبكى عاذله ، و نقض النوم ، و أغلق رهف منى ، و أهدر قتاله ، و كـــان بعد كل هذا فصيح " .فهذا النص النقدي هو من أهم النصوص المهمة التي استوقفتنا في مـرحلة البحث و إن لم يكن لمصعب ابن عبدالله آراء كثيرة في نقد الشعراء إلا أن هذا النص يـجعلنا ندرك

(1) : أبي فرج الأصفهاني الأغاني ، دار الكتب القاهرة 1/ 130 ط1 .

أن له دوق و ثقافة واسعة و هذا إن دل فإنما يدل على أن نقده هذا نقدا انطباعيا لـــم يخضع في القواعد و الأسس المسطرة للناقد و الممنهجة له .

المبحث الثاني: المفاضلة بين الشعراء و البيئات و بما اشتهرت في عصر بني أمية

المطلب الأول: المفاضلة بين الشعراء

نرى أن المـــــفاضلة بين الشعراء أخذت منحى التطور في هذا العصر عنه في العصرين السابقين و ذلك بـــــالالتفات عند الموازنة أو المفاضلة إلى جوانب من الشعر لم يكن النقاد السابقون ينظرون إليـــها ، و لا ريب في أن تكون المجالس النقدية الأدبية معنية بهذا الشأن فقد عني الخلفاء و العلماء و الفقهاء ، بجملة مما عنوا به بالمفاضلة بين الشعراء ، و لم يكن الموضوع حصرا لمعـاصريهم فقد يأخذهم الحديث الى المفاضلة بين شعراء ما قبل الإسلام و قد يصل الأمر إلى شـاعر من المعاصرين و أخر من السابقين باحثين عن نقاط التشابه أو التفاوت راسمين الخصائـــص العامة لذلك و تعد المفاضلة بين الشعراء مظهرا من مظاهر الحركة النقدية في أي أدب و قـــد نالت هذه الظاهرة نصيبا مهما لدى نقاد العصر الأموي الذين اعتادوا على أسلوب المفاضلـــة أو الموازنة منطلقين من مواقف كثيرة و معايير نقدية انطباعية للمفاضلة ، و قد اخترنا اختـياره لشاعر على أخر لم يتطرق إلى القواعد النقدية و إنما بما جادت به نفسه و ما وجهه به عقله .

و يروى أن معاوية سأل أصحابه عن قصيدة أنصف فيها صاحبها و كذلك عن أحسن أبيات قالتها العرب في الضيافة و عن ثلاثة أبـــيات جامعة لما قالته العرب و عن أفخر بيت قالته العرب . (1)

و هذه الأسئلة تدل و من دون أدنى شك علـــى قدرة معاوية على الموازنة بين الشعراء و هي رؤية نقدية انطباعية لها أبعادها في المعيار النقدي .

و روي الأصمعي أن عبدالملك بن مروان قـــال للفرزدق :" من أشعر الناس في الإسلام ؟ قال : كفاك بابن النصرانية إذا مدح ، إشارة إلـى الأخطل و الفرزدق فحدد تفضيله الأخطل على الشعراء في العصر الإسلامي في فن المـديح فقط و يرمي من ذلك إلى إرضاء الخليفة عبدالملك الذي لا ريب في أنه كان شاعره المفضل . (2)

و جاء في الأمالي عن أبي عبيدة أنه قال :" كان عبدالملك بن مروان ذات ليلة في سهرة مع ولده و أهل بيته و خاصته فقال لهم : ليقل كـــــــل واحد منكم أحسن ما قيل في الشعر ، و ليفضل من رأى تفضيله فأنشدوه و فضلوا ، فقال بـــــعضهم : امرئ القيس و قال بعضهم

(1): ابن كثير البداية و النهاية ، مكتبة المعارف بيروت 8/ 342 ط2 .

(2): أبي فرج الأصفهاني الأغاني ، دار الكتب القاهرة 8/ 369 ط1 .

النابغة ، و قال بعضهم الأعشى ، فلما فرغوا قال : والله أشعر من هؤلاء جميعا عندي معن بن أوس ''(1) ثم ذكر بعضها من أبيات :

*وَ ذِيْ رَحِمٍ قَلَمَتْ أَظْفَارَ ضُغْنِهِ * بِحِلْمِيْ عَنْهُ وَ هُوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمُ*

*فَإِنْ أَعْفُ عَنْهُ أَغُضُ عَيْنًا عَلَى قَذَى * وَ كَالْمَوْتِ عِنْدِيْ أَنْ يَحُلَ بِهِ الرَغْمُ*

*وَ يَشْتُمُ عِرْضِيْ فِي المَغِيْبِ جَاهِدًا * وَ لَيْسَ عِنْدِيْ لَهُ هُوَ أَنْ وَ لَا شَتَمُ*

*إِذَا سَمْتَهُ وَصَلَ القَرَابَةَ سَامَنِيْ * قَطِيْعَتُهَا تِلْكَ السَفَاهَةُ وَ الإِثْمُ*

*صَبِرْتُ عَلَى مَا كَانَ بَيْنِيْ وَ بَيْنَهُ * وَ مَا تَسْتَوِيْ حَرْبُ الأَقارِبِ وَ السِلْمُ*(2)

و لو أعدنا النظر في الأبيات السابقة لوجدنا ان هناك مغزى أراده عبدالملك ، إذ أنه كان جالسا بين خاصته و ولده ، و يبدوا انه كان منهم من يحمل ضغينة له فعرض به بهذه الأبيات الشعرية مفضلا ابن أوس على كثيرين منه الأعشى و الذي هو في نظر عبدالملك أشعر العرب ، و هذا بما يفسر لنا اختيار عبدالملك مؤدبا يعلم أولاده شعر الأعشى ، و قد قال فيه " ما أعذب بحره و أصلب صخره ''(3) و يروي أن جرير دخل على عبدالملك فأنشده مادحا :

*عَلَى اِبْنِ أَبِي العَاصِ دَلَاصُ حَصِيْنَةٌ * أَجَادَ المَسْدَى سِرْدُهَا وَ الَهَا*

*يَؤُوْدُ ضَعِيْفُ القَوْمِ حَمْلَ قَتِيْرِهَا * وَ يَسْتَطِيْعُ الطَرَفُ الأَشَمُ اِحْتِمَالَهَا*

فقال عبدالملك : أفلا قلت كما قال الأعشى لقيس ابن معد يكرب :

*كُنْتُ المُقَدَمَ غَيْرَ لَابِسِ جَنْهُ * بِالْسَيْفِ تُضْرَبُ مُعلِمَهَا وَ أَبطَالَهَا*

فقال'' يا أمير المؤمنين وصفه بالخرق و وصفتك بالحزم ''. (4)

و روي أيضا أن الشعراء قد اجتمعت عند عبدالملك فقال لهم أبقي أحد أشعر منكم ؟ قالوا :

---

(1): أبو علي الغالي الأمالي ، دار الكتب العلمية بيروت 2/ 101 – 102 ط2 .

(2): أبو علي الغالي الأمالي ، دار الكتب العلمية بيروت 2/ 102 ط2 .

(3): أبو زيد القرشي جمهرة أشعار العرب ، نهضة مصر القاهرة 1/ 108 ط1 .

(4): نفس المرجع .

لا فقال الأخطل كذبوا يا أمير المؤمنين قد بقي من هو أشـــــــعر منهم قال و من هو قال : عمران بن حطان قال و كيف صار أشعر منه ؟ قال لأنه قال و هو صادق ففاقهم فكيف لو كذب كما كذبوا . (1)

يبدوا أن إشارة الأخـطل توحي إلى اهتمام عمران بمذهبه على القول فيه مع الاقتصار على الوصف و البعد علـى الغلو و هذا ما يريد بالكذب الذي وصف به بقية الشعراء فابن حطان فاق الشعراء بصدقه فـكيف لو كذب ؟ ففي هذه نجد إشارة نقدية إلى قضية الصدق و الكذب في الشعر .

و من الروايات في موضـــوع المفاضلة يروى أن عمارة بن عقيل يحدث عن أبيه عن جده قال : " قال عبد الملك لجرير : من أشـعر الناس؟ قال ابن العشرين (يعني طرفة) . قال فما رأيك في ابنه أبي سلمة (زهير و ابنه كعب) ؟ قال : كان شعرهما نيرا يا أمير المؤمنين ، قال فما تقول في امرئ القيس ؟ قال : اتخـــذ الخبيث الشعر نعلين ، و أقسم بالله لو أدركته لرفعت دلالة قال : فما تقول في الرمة ؟ قال : قـدر من ظريف الشعر غريبه و حسنه ما لم يقدر عليه أحد قال : فما تقول في الأخطل ؟ قال : مـــــا أخرج لسان ابن النصرانية ما في صدره من الشعر حتى مات ، قال : فما تقول في الفرزدق ؟ قـــــال : في يده والله يا أمير المؤمنين نبعة من الشعر قد قبض عليها ، قال : فما أراك ألقيت لنفسك شيئا ! قال : بلى والله يا أمير المؤمنين ! إني مدينة الشعر التي منها يخرج و إليها يعود ، نســـــبت فأطربت و هجوت فأرديت و مدحت و سنيت و أرملت فأغزرت و وجست فأبحرت فأنـا فلت ضروب الشعر كله ، و كل واحد منهم قال نوعا منها ، قال : صدقت " (2) .

و نستنتج من هذا النص النقدي و المهم سبع ملاحظات انطباعية نقـــــدية مهمة أولها ، أن جرير جعل طرفة أشعر الناس ، و الملاحظة الثانية فهي أن زهير و كعب كان شعرهـــما نيرا ، أي أن شعرهما كان معروف و مشهور و سبق أن جعله زهير في نص سابق أشـعر الناس ، و لن نستغرب كثيرا من هذه الأحكام فالموقف الانطباعي النفسي ذو تأثـــير على الناقد و الملاحظة الثالثة يوجهها جرير في امرئ القيس و يشير إلى مكانته في الشـــعر ، بينما كانت الرابعة في ذي الرمة ، إذ رأى أن له ضروبا من الشعر لم يقدر عليها أحد و هذا اعتراف ضمني بشاعريته فيما خصصت الملاحظة الخامسة في الأخطل و رأى أنه هـجاءا شديد الهجاء ، أما السادسة فكانت من نصيب الفرزدق الذي يرى أنه نبعة من الشـــعر ، و

(1): أبي فرج الأصفهاني الأغاني ، دار الكتب القاهرة 8/ 168 ط1 .

(2): نفس المرجع 2/ 179 – 180 .

هذه الأحكام لم تقلل من شاعرية هؤلاء ، بل إنها رفعت من شاعرية كل منهم و هــذا الأمر أذهل الخليفة حتى قال له ما أراك أبقيت لنفسك شيئا؟ فقال أنا مديـــــنة الشـــــعر ، و هذه الملاحظة مهمة لأنه يحكم لنفسه بأنه فوق الشعراء جميعا و يعلل ذلك بـــوصف جليل و هو قوله أنه قال الشعر في جميع أغراضه و رد عليه الخليفة ب صدقت و إذا جئنا لرد الخليفة

نجد أنه أقنعه بـــــقول الشعر في شتى أغراضه و ضروبه لأن رأي الخليفة كان انطباعيا و لأرى انه على حـــــق في هذا أما في الواقـــع فاحتمى و أكيد ليس بجرير أنه فوق كل هذه الأعلام المذكورة سابقا من امرئ القيس إلى زهير ...

المبحث الثاني: النقد الانطباعي في بيئات العصر الأموي

المطلب الثاني: بيئات النقد الانطباعي في العصر الأموي

كان للنقد الانطباعي دوره الرائد في النهضة الفكرية و اللغوية و الأدبية في هذا العصر ، و قد اتخذ أشكالا لا تتواءم مع كل بيئة من بيئاته و كانت هذه الأشكال و تلك الاتجاهات النقدية نتيجة حتمية لأسباب صنعتها كل بيـــئة من البيئات العربية المختلفة ن و قد استطاعت هذه الأسباب أن تلون النظرات النقدية بطريقة واضحة و أن تؤثر في الآراء اللغوية . (1)

و قد ظهرت المدارس الأدبية في أنحاء متفرقة من الجزيرة العربية و أطرافها و تنوع معها النقد الأدبي تنوعا ملحوظا ، فمثلا كـــان للمدرسة الأدبية التي قامت في المدينة و أطرافها نمط خاص في التعبير و التذوق الجمـــالي للأدب و صار لعشاق البادية عشاق و مريدون يأثرون أسلوبهم و يحبون طريقة تعبيرهـــم ، و أصبح كذلك أدباء البصرة و الكوفة مذهب يختلفون به عن مذهب شعراء الشام حيث الخلافة التي تملك الإشقاء و الإسعاد ، (2)

و أما الآن سنتكلم عن كل مدرسة و اتجاهها و أعلامها :

أولا- النقد الانطباعي في بيئة الحجاز : و هي مدرســـة غزل و كـــان النقد فيها انطباعيا بطابع الذوق الفني و الرقة ، و الروح الإنسانية ، و تذوق رفـــيع للجمال و أساليب القول ، يقول الأستاذ أحمد أمين و هو بصدد حديثه عن الحجاز في العصر الأمـــوي أنه نشأ فيه أدب رقيق يتفق و العصر ، فيه دعابة و وصف للنساء صريح ، و هـــذا الأدب الـــجديد في هذه البيئة اللاهية تبعه كذلك رقي في النقد يدل على رقي في الذوق (3) . والنقد في هذه المدرسة غالبا ما اتجه إلى المعاني التي وعاها النص ، و التي كان النقد يعرضها على ذوقه الفطري ، الانطباعي فيقبل منها ما يراه ملائما لذوقه و ما هو أليق لعاطفته الحب و أنســب لفن الغزل ، و قد اشتهر نقد أصحاب هذه المدرسة بنقد الذواقين تارة و بنقد الشعراء تـــارة أخرى ، و المراد بالذواقين جماعة النقاد الذين اشتهروا بتذوق الشعر و تقويمه و إبداء رأي انطباعي فيه ، و نقد الشعراء فهم جماعة النقاد الـذين نقدوا الشعر و هم شعراء و صـــدر نقدهم عن حاسة شعرية فطرية انطباعية ، و قد جمع نقدهم بين الفطرية و التطبيق .

---

(1): محمد قاسم مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة شبكة الفصيح 9- 2009 .

(2): عبدالرحمان عثمان معالم النقد الأدبي ، مطبعة المدني القاهرة ط1 ص 128 .

(3): أحمد أمين النقد الأدبي ، مكتبة النهضة القاهرة 2/ 421 ط1 .

و من أشهـــر النقاد الذواقين نجد أن ابن أبي عتيق و سكينة ابنة الحسين و من أهم الأصول النقدية و الانطباعية لابن أبي عتيق نستنتج :

- أثر الشعر في النفوس و تأثيره في القلوب و تعلقه بها و إدراك الحاجة .

- الشعر الجيد ما أثر في نفس سامعيه .

- الشاعر الجـــيد هو من ينقل مشاعره إلى غيره عن طريق افتتانه .و منه يمكننا القول أن الرؤية النقدية لابن أبي عتيـــــق فن منبته و مبعثه الذوق " الانطباعية " غايته التكيف مع العمل الفني و إدراك معطياته الحضارية و الجمالية ، و هو فن المتعة و التذوق و التأثير و هذا أسمى ما وصل إليه النقد الحـــديث . (1) روي انه اجتمع بالمدينة راوية جرير و راوية نصيب و كثير و جميل و الأحوص فادعـــى كل منهم أن صاحبهم أشعر ثم تراضوا بسكينة ابنة الحسين فأتوها فأخبروها فقالت لصاحب جرير : أليس صاحبك الذي يقول :

*طَرَقْتُكَ صَائِدَةَ القُلُوبِ وَ لَيْسَ ذَا * حِيْنَ الزِيَارَةَ فَارْجِعِيْ بِسَلَامِ*

و أي ساعة أحلى للزيارة من الطروق ، قـــــبح الله صاحبك و قبح شعره ثم قالت لصاحب كثير : أليس صاحبك الذي يقول :

*يَقُرُ بَعَيْنِيْ مَا يَـــــــقُرُ بِعَيْنِهَـــا * وَ أَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ العَيْنُ قُرَتْ*

*كَأَنِي أُنَادِيْ صَخْرَةَ حِيْنَ أَعْرَضَتْ * مِنَ الصُمِ لَوْ تَمْشِيْ لَهَا العِصْمُ زُلَتْ*

ثم قالت فليس سيء أحب إليهن و لا أقرب لأعينهن من النكاح ، أ فيحب صاحبك أن ينكح ، قبحه الله و قبح شعره ثم قالت لصاحب جميل : أليس صاحبك الذي يقول :

*فَلَوْ تَرَكْتَ عَقْلِيْ مَعَهَا مَا طَلَبْتُهَا * وَ لَكِنْ طَلَا بِيْهَا لَمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِ*

قالت: ما أرى بصاحبك هوى ، إنما يطلب عـــقله ، قبح الله صاحبك و قبح شعره ثـــم قالت لصاحب نصيب : أليس صاحبك الذي يقول:

*أَهِيمُ بُعْدَمَا حَيِيْتُ فَإِنْ أَمُتْ * فَلَا صَلَحْتُ دَعْدَعُ الذِيْ خَلَتْ بَعْدِيْ*

ثم قالت لصاحب الأحوص : أليس صاحبك الذي يقول :

*مِنَ عَاشِقَيْنِ تَوَاصُلًا وَ تَوَاعُدَا * لَيْلًا إِذَا نَجْمُ الثُرَيَا حَلْقَـــا*

(1): محروس منشاوي الجالي النقد الأدبي ، دار المعارف القاهرة ط1 ص 168 .

*بَاتَا بِأَنْعُمِ عَيْشَةٍ وَ أَلَذُهَا * حَتَى إِذَا وَضَحَ النَهَارِ تَفَرَقَــا*

ثم قالت : قبح الله صاحبك و قبح وشعره ألا قال : تعانقا . (1)

و نـــقد سكينة هذا النـــقد ذوقي تأثير انطباعي منصب على معاني الأبيات التي صورت عواطف محبين في تلك البــيئة المترفة التي كثر فيها شعر الغزل كما كثر مدارسه و نقده و موقفها من الأبيات يتلخص فـي عدم تجاوب أحاسيسها مع ما تضمنته الابيات من معاني بعد عن المشاعر الصادقة و العواطـف الحارة من وجهة نظرها و هذا نوع من النقد الانطباعي التأثري الذي يحوزه التعليم المفصـــل لما أصدره من حكم و الذي يرفض شعر الشاعر أو يقبله من خلال بيت أو مجموعة من الأبيـــات دون أن يستقصي شعره في مجموعة . (2)

و لعل طبيعتها كأنثى عفيفة أثر في مثل هذا الـــنقد الذي رفض شعر هؤلاء الغزليين ، لأن معانيه لا تتجاوب مع كبريائها و مع ما تحمله مـن عواطف تنشدها في كل ما يعرض عليها من شعر الغزل العفيف الذي يصور عاطفة الشوق الصادقة و الصبابة البريئة .

أما النقاد الشعراء الذين جمعوا بين قول الشعر و تـــذوقه في بدو الحجاز نجد عمر بن أبي ربيعة شاعر مكة و هو من أصحاب الغزل المداح الصـــريح و النقد التأثري الانطباعي .

(1): المرزباني الموشح ، دار الكتب العلمية ط1 ص 209 – 210 .

(2): زكي مبارك الموازنة بين الشعراء ، دار الكلمات للنشر القاهرة ط1 ص 9 .

ثانيا- النقد الانطباعي في بيئة العراق:

الشـــــعر في هذه المدرسة يـــشبه الشعر الجاهلي في موضوعه فحولته و أسلوبه فالفخر بالأصول و العصبيات و الصراع بـين الشعراء خلف شعر النقائض و الأراجيز ، و احتذاء النمط الجاهلي خلف نوع من النقد يفـــاضل بين الشعراء و يوازن بين الأعمال الشعرية و يميز بين طرائق التعبير على أساس من فـــحولة الأسلوب و نمو الحركات السياسية خلف نوعا من الشعر الذي يرفض التوجه للأمراء و الـتمسح بالملوك و جلب المال بالمدح و مع هذا كانت هناك حركة نقدية انطباعية مالت إلى تقييم الشعر على ضوء التزامه بالقيم الدينية و الخلقية . (1) و لا ننسى ان بيئة العراق بيئة علميـــة ثقافية امتزجت فيها أصول العرب و الأصول الأجنبية و لذلك تأثرت هذه المدرسة بالمنهـــج العلمي الذي أعتمد فيه نقادها غالبا على قواعد النحو و أصول اللغة و يقيسون الأدب بمقاييسها و يحاولوا أن يخضعوا الشعراء لها ، تلك هي مدرسة للغويين في العراق التي غلب عليـها الطابع اللغوي و النحوي ، و إن لم تهمل الجوانب المعنوية و التعبيرية الأخرى .

و لم يكن هؤلاء العلماء النقاد من اللغويين و النحويـين على درجة واحدة في التزام المقياس العلمي ، فالحق أنه من كان منهم من يقوم نقده على أســـاس الأصول المقررة في اللغة و النحو و العروض ، و منهم من يميل إلى الأصول الأدبية الفـنية في التعبير . (2) هـــؤلاء العلماء قد أفادوا النقد الأدبي الانطباعي من جهات ثلاث :

الأولى: أنه كانت لهم آراءهم القيمة في نقد الشعر و الحكم على الشعراء حكما يســـند على بعض الأصول و الأسس الموضوعية .

ثانيا: أنهم جمعوا كل ما قاله الأدباء و النقاد قبلهم في الشعر و الشعراء . (3)

ثالثا: أنه يعزى إلى هؤلاء الفضل في رواية الخصومات التي قامت حول كبار الشـــعراء – فيما بعد – وذكر الحجج التي كان يوردها كل أنصار في تفضيلهم لشاعر من الشـعراء .(4)

و من أشهر النقاد الانطباعيين في هذه المدرسة نجد أبو عمرو ابن العلاء و الحضـــرمي و

(1): محمد أحمد العزاب عن اللغة و الأدب و النقد ، دار المعارف القاهرة ط1 ص 282 .

(2): حسن جاد دراسات في النقد الأدبي ، دار المعارف القاهرة ط1 ص 45 .

(3): محروس منشاوي الجالي النقد الأدبي ، دار المعارف القاهرة ط1 ص 194 .

(4): الآدمي الموازنة بين أبي تمام و البحتري في مواضع متفرقة ، دار المعارف القاهرة ط4 .

عنبسة الفل ، و حماد الراوية و خلف الأحمر و الأصمعي و أبو عبيدة الضبي و غيرهم مما سنذكرهم في نماذج متفرقة .

* روي صـــاحب الموشح : أن عيسى ابن عمر أخذ على النابغة الذبياني تورطه في قوله :

*فَبِتُّ كَأَنِّيْ سَاوَرَتْنِيْ ضَئِيْلَةٌ * مِنَ الرَّقْشِ فِيْ أَنْيَابِهَا السُّمُ نَاقِعُ*

حيث قال : صحته ناقعا بالنصب على الحال . (1)

و مثله تخطئه أبي عمرو بن العلاء ابن قيس الرقيات في بيته :

*تُنْبِكِيْكُمْ أَسْمَاءُ مُحَوَلَةٌ * وَ تَقُوْلُ لَيْلَى وَ اَرْزَيْنَتِيْهِ*

بقوله كان ينبغي أن يقول: و أرزيئتاه كما تقول: و أعماه و أخياه (2).

كان عبدالله الحضر هي شديد التعقب شعر الفرزدق فنقده في بيته :

*وَ عِضْ زَمَانَ يَا اِبْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ * مِنَ النَاسِ إِلَا مَسْحَتَا أَوْ مُجَلَّفِ*

بأنه عطف المرفوع و هو المجلف على المنصوب مسحتا .

و كما سلف الذكر اتسمت هذه البيئة بالمعارضة و الهجـــاء و الاضطرابات السياسية فكان نقدها انطباعيا كما البيئات الأخرى وقد كان هناك نظـــرات نقدية انطباعية تتسم بالدقة و العمق مثلا ما أثرت على الأصمعي من أهمها الصلة بيــن الشعر و بيئته الاجتماعية و ذلك حينما نظر في شعر حسان بن ثابت و أنه في الإسلام أضـــعف منه في الجاهلية لأن الشعر قائمة على الأهواء و الشر ، فإذا دخل في الخير ضعف و كـــان الشر في رأي الأصمعي صدى للحياة الاجتماعية ، فالأصمعي حرص على تدعيم الصلـــة بين شعر حسان و الحياة الاجتماعية في عهديه (3).

(1): المرزباني الموشح ، دار الكتب العلمية ط1 ص 42 .

(2): نفس المرجع ص 242 .

(3): ابن قتيبة الشعر و الشعراء ، دار المعارف القاهرة 1/ 236 ط2 .

ثالثا- النقد الانطباعي في بيئة الشام :و هي مدرسة المـدح ، و حولها قام حركة نقدية تأثرية في قصور الخلفاء و أنديتهم و مجالسهم ، كتلك التي قامت في الحجاز حول الغزل .

النقد هنا كما في الحجاز و العراق يعتمد على الذوق الفـــطري المصقول بطول النظر في الشعر ن و استيعاب نماذجه ، و تمثل طرائق العرب في التـــعبير و التصوير (1) و إذ قلنا الذوق الفطري فهذا يعني الانطباعية و التأثرية في هذه البيئة .

و النقد في هذه المدرية غالبا ما اتجه إلى تقييم الحركة الشعريـــــــة على ضوء اقترابها و ابتعادها على القيم الفنية الموروثة و بخاصة في شعر المدح و بهذا كـــان النقد ينحوا منحى إتباعي تأثري ، حيث نجح النقاد في كثير من نظراتهم أو لمحاتهم الـــتي أبدوها إلى مدى ما ظفر بها البيت أو الأبيات من إتباع للنماذج القديمة من حيث إصابة المـــعنى و دقة الوصف و التعبير عن الغرض (2) .

و كان الخلفاء نفسهم هم عهد هذه المدرسة و كان عبدالملك بن مروان على رأس خلفاء بني أمية في مجال النقد و المناقشة ، و كان صاحب أدب ذوقي تأثري راق يقـــــصده الشعراء بمدحهم فيدقق في معاني شعرهم بذوقه اللطيف و حسه المرهف الذي كان ينفـــد إلى أعماق النص فيكشف عن جماله أو يبين رداءته .

و من صور نقد ما رواه صاحب الموشح من أن الراعي النميري أنشده قصيـــدته التي منها قوله : *أَخَلِيْفَةُ الرَّحْمَانِ إِنَا مَعْشَرُ * حَنْفَاءُ نَسْجُدُ بُكْرَةً وَ أَصِيْلاً*

*عَرَبٌ نَرَى اللهَ فِي أَمْوَلِنَـا * حَقَ الزَّكَاةِ مَنْزِلًا تَنْزِيْـــلَا*

فقال عبدالملك :" ليس هذا شرح إسلام و قراءة آية " (3).

و مفاده أن عبدالملك بفطرته لم يقبل من الشعر ما كان تقريرا لمسائل دينـــــــية أو خلقية فليست هذه وظيفة الشعر إنما هو شعور و إحساس يعبر عنه في بيان جميل و نغـــم بديع و تصوير مفتن ، أما ما قاله الراعي فليس شعرا ، لأنه لا عاطفة فيه و لا شعورا و إنـما هو تقرير لحقائق يعرفها العامة .

(1): محمد أحمد العزاب دراسات في النقد و الأدب ، دار المعارف القاهرة ط2 ص 282 .

(2):محروس منشاوي الجالي النقد الأدبي ، دار المعارف ط1 ص 185 .

(3): نفس المرجع و الصفحة .

الخاتمة:

و بعد هذه الوقفات المفعمة بالحوار و التغلغل في عالم النقد الانطباعي منذ عصر ما قبل الإسلام و حتى العصر الأموي ، أفضت هذه الدراسة إلى الخروج ببعض الرؤى و الأفكار و التصورات وصول إلى رسم طريق الإبداع الذي يقتضي أثره النتاج الأدبي يعيد تثمين النص على أسس جديدة و معطيات بحثا عن كوامنه الإبداعية التي حققت له الحضور و الاستمرار و من ثمة إعادة الجهود النقدية الانطباعية استنادا إلى الشواهد و مدى التأثر بالتأثرية التي تبنت بعض التصورات التي آلت معها إلى نتائج شكلت غاية علمية .

و بدون إطالة نذكر ما خرجنا به و أهمه حاول البحث أن يظهر ملامح نقدية انطباعية أكدت أن العربية في تلك العصور كانت تتمتع بحياة نقدية انطباعية تأثرية كان محورها نص الشعر العربي القديم ، و أيضا التماسنا أن الانطباعية في كثير من الأحيان توزعت بين الذاتية و الموضوعية التي تستند في جملتها إلى رؤية فنية و خبرة صحيحة لم تعتمد في نقدها على القواعد و الأسس و قد تبين لنا أيضا موضوع مذكرتنا في جل الشواهد و الأحكام التي ذكرناها حيث ان طبيعة النقد السائد في العصر الجاهلي كان مدار إعجاب النقاد القدامى بالبيت أو البيتين يقودهم ذلك إلى تفضيل قائلهما على الناس جميعا و لذلك شاعت مثل هذه المصطلحات من دون تعليل و هذا هو لب موضوعنا الانطباعية .

أما نقد صدر الإسلام فقد كان الغالب فيه امتداد للعصر الذي قبله ، إذ اتسم معظمه بالانطباعية و قلة الاعتماد على التحليل و التعليل ، غير أن كثير من الأحكام و إن لم تحلل فإنها لم تطلق جزافا ، و لعل سكوت هؤلاء النقاد عن تعليل أحكامهم كان ناشئا من وعي عصرهم و ثقافته و إيثارهم للإيجاز .

أما عصر بني أمية ، فقد نما النقد و ترعرع في بلاطات الخلفاء و الولاة و مجالس الفقهاء و العلماء ، حيث أن خلفاء بني أمية اهتموا بالشعر اهتماما كبيرا و شجعوا عليه و قد أصبح رافدا مهما من روافد حضارتهم ، و من هذا كان النقد ظل الشعر حيث شاع الشعر تبعه النقد مع أنه في هذا العصر بقي كما عليه في العصور التي تليه انطباعي تأثري لا يخضع لتحليل و تعليل .

و قد كان للناقد و المجالس الأدبية في مختلف العصور أثرا فاعل لا يقل أهمية في تطور الشعر ونقده فضلا عن الأسواق و لقاءات الشعراء و قد أتينا بما يدل على كل هذا في موضوعه و الله المستعان و الحمد لله .

المصادر و المراجع:

1- اتجاهات النقد الأدبي د/ محمد السعدي .
2- أثر القرآن في تطور النقد العربي د/ محمد زغلول سلام مكتبة الشباب ط1.
3- أصول النقد أحمد الشايب مكتبة النهضة القاهرة ط10.
4- الأدب في عصر النبوة و الخلفاء ، صلاح الدين الهادي .
5- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني دار الكتب القاهرة ط1.
6- الأمالي لأبي علي القالي مكة للطباعة ط1 .
7- البيان و التبان للجاحظ المكتبة الحديثة العين ط1 .
8- تاريخ الأدب أحمد حسن الزيات مكة للطباعة ط1.
9- تاريخ الأدب في العصر الإسلامي د/ شوقي ضيف .
10- تاريخ الأدب في العصر الأموي د/ محمد عبدالمنعم خفاجي .
11- في النقد الأدبي القديم عند العرب 1998 ، مكة للطباعة .
12- النقد في العصر الجاهلي و صدر الإسلام د/ محمد إبراهيم نصر دار الفكر العربي ط1.
13- النقد المنهجي عند العرب د/ محمد مندور ، دار النهضة مصر .
14- النظرة النبوية في نقد الشعر د/ وليد قصاب مكتبة الحديثة العين ط1.
15- طبقات فحول الشعراء ابن سلام الجمحي مطبعة المدني ط1 .
16- الشعر في الإسلام د/ أحمد فؤاد دار لوران الإسكندرية ط1.
17- تاريخ الأدب في العصر الإسلامي د/ شوقي ضيف دار المعارف الثامنة ط1.
18- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، عبدالعزيز عتيق الرابعة بيروت ط1.
19- التطور و التجديد في الشعر الأموي شوقي ضيف ، دار المعارف مصر 1965 .
20- دراسات بلاغية و نقدية د/ أحمد مطلوب ، دار الحرية بغداد 1980 .
21- دراسات في النقد الأدبي رشيد العبيدي مطبعة المعارف بغداد 1969 .

الفهرس :

الصفحة

مقدمـــة ..... أ
الانطباعية في النقد العربي القديم في العصر الجاهلي ..... ص 1
نشأة النقد و مستوياته في البيئة الجاهلية ..... ص 5
نشأة النقد العربي القديم ..... ص 5
مستويات النقد في البيئة الجاهلية ..... ص 6
الانطباعية في الأحكام النقدية في العصر الجاهلي ..... ص 9
مجالات النقد و ميادينه في النص الأدبي الجاهلي ..... ص 9
بعض المظاهر النقدية الانطباعية في العصر الجاهلي و خصائص النقد..... ص 16
الانطباعية في النقد العربي القديم في صدر الإسلام ..... ص 26
المفاضلات الانطباعية بين الشعراء و النقد الانطباعي عند الرسول ..... ص 29
المفاضلات الانطباعية ..... ص 29
النقد الانطباعي عند الرسول صلى الله عليه و سلم ..... ص 32
النظرات النقدية الانطباعية للخلفاء الراشدين و المقاييس النقدية ..... ص 37
نظرة الخلفاء الراشدين في النقد الانطباعي ..... ص 37
المقاييس النقدية الانطباعية في عصر صدر الإسلام .....ص 44
الانطباعية في النقد العربي القديم في العصر الأموي ..... ص 46
بعض الأحكام النقدية الانطباعية في عصر بني أمية ..... ص 48
النقد الانطباعي في مجالس الخلفاء و ولاتهم ..... ص 48
النقد الانطباعي في مجالس الفقهاء و العلماء و الأشراف ..... ص 53
المفاضلة بين الشعراء و البيئات بما اشتهرت في عصر بني أمية ..... ص 57
المفاضلة بين الشعراء ..... ص 57
البيئات النقدية و اتجاهاتها في العصر الأموي ..... ص 61
الخـــاتـمـــة .